شهر شعبان .. أحكام وآداب وخصائص

التوحيد

مجلة إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٩٦ السنة الخمسون - شعبان ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

ماذا يجري في وول استريت؟

الأزهر

حصن الإسلام ودرع الشريعة على مر العصور

- حق الزوجة على زوجها
- معالم منهج السلف وضوابطه
- محبة الله تعالى وتوحيده .. شرف ونجاة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الادارة

أ. د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الاسلامي مع إرسال قسيمة الايداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٤٠ دولارا او ٢٠٠ ريال سعودي او مايعادلهما

920 جنيها

ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

السلام عليكم

قانون الصيانة

من المتفق عليه بين عقلاء البشر أن «كل من صنع شيئًا فهو الأخبر والأعلم بصيانته»؛ فالذي صنع الطائرة هو الأعلم بصيانتها، والذي صنع الصاروخ هو الأخبر بصيانته، وكذا الذي خلق الإنسان هو الأعلم بصيانته وإصلاحه، ولم يدّع أحد إطلاقًا أنه خلق الإنسان، والذي أخبر بخلق الإنسان هو الله وحده؛ فقال: «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» (التين: ٤). ولذا فالله تعالى وحده هو الأعلم بقانون صيانة الإنسان وإصلاحه. «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» (الملك: ١٤). فقانون صلاح الإنسان وصيانته، وشقائه وسعادته لا يقدر عليه إلا الله وحده، ومحاولة العبث بقوانين الإصلاح الربانية لعباده أو إدخال تعديلات عليها بدون إذن الصانع الخالق لا بد أن يأتي من ورائها فساد وتعطل تلك الآلة المخلوقة عن سيرها وانحرافها عن مسارها، وما أشبهه حينئذ بمن تعطلت سيارته فاستعان بالجزار ليصلح له السيارة.

فمن إذن سيصلح أحوال البشرية غير خالقها ومنشئها؟! أفلا يعقلون.

التحرير

بريد القراء

«بريد القراء»، أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تتاح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للنشر، والله الموفق.

٨

شهر شعبان.. أحكام وآداب وخصائص

٢٤

الأزهر
حصن الإسلام ودرع الشريعة على مر العصور

٣٢

حق الزوجة على زوجها

٥٠

ليلة النصف من شعبان د. عبد الله شاكر ٢
باب التفسير: سورة العنكبوت د. عبد العظيم بدوي ٥
قانون المعرفة الإسلامي د. أحمد منصور سبالك ١٢
الأمثال في القرآن مصطفى البصراتي ١٤
باب السنة د. مرزوق محمد مرزوق ١٧
فقه المرأة في الإسلام د. عزة محمد رشاد ٢١
منهج السلف وضوابطه معاوية محمد هيكل ٢٨
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
دراسات شرعية د. متولي البراجيلي ٣٨
لنجعلها لكم تذكرة د. عماد علي عيسى ٤١
باب الفقه: صلاة الخوف د. حمدي طه ٤٤
كتاب عربي علم العالم محمد محمود فتحي ٤٨
تحذير الداعية من القصص الواهية علي حشيش ٥٣
درر البحار علي حشيش ٥٦
قرائن اللغة والنقل والعقل د. محمد عبد العليم الدسوقي ٥٧
سمع الله لمن حمده د. ياسر لمعي ٦١
ذم البخل والشح المستشار أحمد السيد علي ٦٤
منبر الحرمين: محبة الله تعالى د. بندر بليلة ٧٦
مقالات في معاني القراءات د. أسامة صابر ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين . القاهرة
ت، ٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس، ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

ليلة النصف من شعبان وما أحدث الناس فيها

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، وبعد.. فقد أحدث الناس في شهر شعبان بدعًا منها: الاحتفال بليلة النصف من شعبان وقد ذهب البعض إلى أن ليلة النصف من شعبان هي المرادة في قول الله تعالى: «إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ③ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ» (الدخان: ٣، ٤).

الرئيس العام

د. عبد الله شاكر

وقد ذكر القرطبي رحمه الله عن عكرمة أنه قال: «هذه الليلة هي ليلة النصف من شعبان». (تفسير القرطبي، ج٨، ص ٤٣٢). وقد خالف جماهير أهل العلم عكرمة في ذلك، وقالوا: إن المراد بها ليلة القدر، وهو الصواب، وقال ابن جرير رحمه الله: «تلك الليلة ليلة القدر أنزل الله هذا القرآن من أمّ الكتاب في ليلة القدر»، وقال آخرون: بل هي ليلة النصف من شعبان، والصواب في ذلك قول من قال: عنى بها ليلة القدر. (تفسير ابن جرير الطبري: ج٢٠، ص ٦٤).

وقال ابن كثير رحمه الله: "ومن قال بأنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة، فقد أبعد النَّجْعَة، فإن نص القرآن أنها في رمضان". (تفسير ابن كثير: ج٤، ص ١٧٦).

وقال الشيخ: محمد أمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد بيَّن تعالى أن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، التي أنزل فيها القرآن من شهر رمضان، فدعوى أنها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة، وغيره، لا شك أنها دعوى باطلة، لمخالفتها لنص القرآن الصريح، ولا شك كل ما خالف الحق فهو باطل». (أضواء البيان: ج٧، ص ٣١٩).

ولعل اعتقاد البعض أن ليلة النصف من شعبان هي المرادة من قول الله تعالى في سورة الدخان دفعتهم إلى تعظيم هذه الليلة وتفضيلها، ومن هؤلاء أهل الشام، قال ابن رجب رحمه الله: «وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان، ومكحول، ولقمان بن ناصر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون

فيها في العبادة، وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها، وقد قيل: إنه بلغهم في ذلك آثار إسرائيلية». (لطائف المعارف، ١٩٩)، وقد خالف أهل الشام كثير من أهل العلم، واستندوا في ذلك إلى أدلة منها:

١) أنه لم يرد دليل صحيح صريح على فضل هذه الليلة، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أحياها، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم. قال أبو شامة رحمه الله: «قال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتاب ما جاء في شهر شعبان، قال: أهل التعديل والتجريح: ليس في فضل ليلة النصف من شعبان حديث صحيح». (الباعث على إنكار البدع والحوادث، ص ٣٣).

كما ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله إن قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه. (لطائف المعارف، ص ٢٠٠).

ولذلك أقول: إذا لم يثبت فيه شيء عن الله تبارك وتعالى، أو عن رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز لأحد أن يتعبّد لله تبارك وتعالى، بما لم يرد به الشرع، وهذا الذي دفع بعض أهل العلم ببدعية قيام ليلة النصف من شعبان، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: وأما ما اختاره الأوزاعي رحمه الله من استحباب قيامها للأفراد واختيار الحافظ ابن رجب لهذا القول فهو غريب وضعيف؛ لأن كل شيء لم يثبت بالأدلة الشرعية كونه مشروعًا لم يجز للمسلم أن يُحدثه في دين الله، سواء فعله مفردًا أو في جماعة، وسواء أسرّه أو أعلنه؛ لعموم قوله صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وغيره من الأدلة الدالة على إنكار البدع والتحذير منها. (التحذير من البدع: ص ١٣).

وقال أيضًا بعد ذكره لبعض الآيات والأحاديث وكلام أهل العلم حول ما ورد في ليلة النصف من شعبان: ومما تقدم يتضح لطالب الحق أن الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة أو غيرها، وتخصيص يومها بالصيام بدعة منكرة عند أكثر أهل العلم، وليس له أصل في الشرع المطهر، بل هو ما حدث في الإسلام بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم. (التحذير من البدع، ص ١٥).

ومن الأدلة التي استند إليها القائلون ببدعية الاحتفال بليلة النصف من شعبان: أن الحافظ ابن رجب الذي ذكر تفضيل بعض التابعين لهذه الليلة ذكر أيضًا أن مستندهم في ذلك آثار إسرائيلية، والمنكرون لهذا التفضيل يقولون لهم: متى كانت الآثار الإسرائيلية حجة يستدل بها في دين رب العالمين؟ ومن المعلوم أن الدين هو ما جاء عن الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم، كما استند القائلون بالتفضيل إلى الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله ليطلع في ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»، وهذا حديث ضعيف رواه ابن ماجه في سننه، وقال عقبه: «في الزوائد: إسناده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن لهيعة وتدليس الوليد بن مسلم»، كما ذكر عن السندي أنه قال: «راوي الحديث عن أبي موسى الأشعري لم يلق أبا موسى». (انظر سنن بن ماجه، حديث (١٣٩٠)).

كما استندوا إلى حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه، ألا مبتلى فأعافيه، ألا كذا، ألا كذا، حتى يطلع الفجر» وهذا حديث ضعيف، قال البوصيري في الزوائد: «إسناده ضعيف لضعف ابن أبي سبرة». قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين: يضع الحديث. (انظر سنن ابن ماجه، حديث (١٣٨٨)).

وقال الشيخ علي محفوظ رحمه الله: «من البدع الفاشية في الناس احتفال المسلمين في المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب، وإحياؤها بذلك على الهيئة المعروفة لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين». (انظر: الإبداع في مضار الابتداع، ص (٢٨٦)).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله: «إن الاحتفال بليلة النصف من شعبان من مواسم البدعة التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه، كما قال العلامة ابن الحاج في ابتداء القرن الثامن». (انظر مجلة المنار، المجلد الثالث، لعام ١٣١٥هـ)

وللأستاذ الدكتور عبد الفتاح بن إبراهيم سلامة رحمه الله رسالة في ليلة النصف من شعبان عنونها بقوله: «شعبان ونصف شعبان بين الحقائق الإسلامية والأباطيل الإسرائيلية»، وقد تحدث فيها عن أسطورة الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وقد قدم لهذه الرسالة شيخي العلامة الدكتور/محمد خليل هراس رحمه الله. (انظر: مجلة الهدي النبوي العدد الثامن لعام ١٣٨١هـ، صفحة ٤٣).

ومن البدع المحدثة في ليلة النصف من شعبان ما يعرف بالصلاة الألفية، وأول من أحدث هذه الصلاة رجل يعرف بابن أبي الحمراء، من أهل نابلس سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، حيث قدم إلى بيت المقدس، وكان حسن التلاوة، فقام فصلى هذه الصلاة. (انظر: الحوادث والبدع، ص ١٢١).

وسميت هذه الصلاة بالألفية؛ لأن المصلي يصلي مائة ركعة يقرأ في كل ركعة سورة الإخلاص عشر مرات، ويظهر من تاريخ اختراع هذه البدعة أنها لا أصل لها في الشرع، فلم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أصحابه ولا أحد من التابعين، أو الأئمة المرضيين، وقد استندوا في فعلها إلى حديث موضوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: «يا علي من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد عشر مرات إلا قضى الله عز وجل له كل حاجة طلبها تلك الليلة». قال ابن الجوزي: هذا حديث لا نشك أنه موضوع. (الموضوعات لابن الجوزي: ج٢، ص ١٢٧).

كما أورده ابن القيم في الأحاديث الموضوعة وقال عقبه: «والعجب من شم رائحة العلم بالسنن أن يغتر بمثل هذا الهذيان ويصليها». (المنار المنيف: حديث رقم ١٧٥).

وقال ابن تيمية: «إن الحديث الوارد في الصلاة الألفية موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث». (اقتضاء الصراط المستقيم: ج٢، ص ٦٢٨).

ومن البدع المحدثة التي يفعلها البعض في هذه الليلة الاجتماع لقراءة دعاء مخترع يطلبون فيه من الله تعالى أن يمحو من أم الكتاب، شقاوة من كتبه شقيًا ويكتبه سعيدًا، وهو دعاء طويل يبدأ بقولهم: «اللهم يا ذا المنّ ولا يمن عليه، يا ذا الجلال والإكرام، ويا ذا الطول والإنعام.. اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيًا أو محرومًا، أو مطرودًا أو مقترًا علي في الرزق، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني...»، وهذا الدعاء لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا عن السلف الصالح، قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله: «ونسبة هذا الدعاء إلى بعض الصحابة قد شك فيها الإمام أبو حيان وغيره من المحققين...»، وأصل هذه البدعة ما نقل عن اليافعي أنه قال: «إن أولى ما يدعى به في ليلة النصف من شعبان: اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه». (الابداع، ص ٢٩٠).

وقد عد الشيخ رشيد رضا رحمه الله هذا الدعاء من البدع فقال: "ولا ندري من وضع هذا الدعاء، ومنها الاجتماع لقراءته، وجعل ذلك شعيرة من شعائر الدين، وغير ذلك. (انظر مجلة المنار: ج٣، ص ٦٦٧).

أسأل الله تعالى أن يوفق المسلمين للعمل بسنة النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، والكف عن المحدثات في الدين.

سُورَةُ العَنكبُوتِ

الحلقة الأولى

قال الله تعالى: (الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ② وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ③ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ)

(العنكبوت: ١-٤).

إعداد **د. عبدالعظيم بدوي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فسنبدأ في هذا العدد تفسير سورة جديدة من سور القرآن العظيم، ألا وهي سورة العنكبوت، ونسأل الله أن يرزقنا بركات القرآن وأن يجعله حجة لنا لا علينا، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

بين يدي السورة:

سُميَتْ بهذا الاسْم لضَرْب الله تعالى فيها المَثَل للمُشْركينَ الَّذينَ اتَّخذوا منْ دُونه أوْليَاءَ، وظنُّوا أنَّها مَانعَتُهُمْ منْ عذاب الله، فضَرَبَ الله لهُمُ المَثَل بالعَنْكبُوت اتَّخذَتْ بَيْتًا تَحْتَمي به، ومَا هُو بحَاميهَا.

واخْتَلفَ العُلمَاءُ في مكيَّتها ومَدنيَّتهَا، فمنْهُمْ منْ قَال: كُلُّها مكيَّةٌ، ومنْهُمْ منْ قَال: كُلُّهَا مدَنيَّةٌ، ومنْهُمْ منْ قال: كُلُّهَا مكيَّةٌ إلاَّ إحْدى عشْرَةَ آيَةً في أوَّلها.

وهيَ تُركّزُ على العقيدَة وأُصُول الدّين وأرْكَان الإيمَان، ولا سيَّما التَّوْحيدُ، والنُّبُوَّةُ، والبَعْثُ بعْد المَوْت، ولكنَّ محْوَر السُّورَة يدُورُ حوْل سُنَّة منْ سُنَن الله الكَوْنيَّة، وهيَ سُنَّةُ الابْتلاء، « لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ » (الأنفال٣٧)، « وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ » (آل عمران: ١٦٦- ١٦٧).

مُناسبتها لما قبلها:

في تعلُّق أوَّل هذه السُّورة بما قَبْلَهَا وُجُوهٌ:

قَالَ الرَّازيُّ عفَا الله عَنْهُ: لَمَّا قَال الله تعالى في آخر القَصَص: « إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ » (القصص: ٨٥)، وكَانَ المُرادُ منْهُ أنْ يَرُدَّهُ إلى مَكَّةَ ظَاهرًا غَالبًا على الكُفَّار، ظَافرًا طَالبًا للثَّأر، وكَان فيه احْتمَالُ مَشَاقّ القتَال، صَعُبَ على البَعْض ذَلك،

فَقَالَ الله تَعَالَى: «الٓمٓ ١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا أَن يَقُولُوٓا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» (العنكبوت: ١-٢)، ولا يُؤْمَرُوا بالجهاد. (التفسير الكبير: ٢٥/ ٢٣).

وَذَكَرَ الْجَلَالُ رَحِمَهُ الله في وَجْه اتِّصالها بما قَبْلَها: أَنَّهُ تعالى أَخْبَرَ في أَوَّل السُّورَة السَّابقة عَنْ فِرْعَوْنَ أَنَّهُ: «عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ» (القصص: ٤)، وَافْتَتَحَ هذه بذِكْر الْمُؤْمنين الَّذين فَتَنَهُمُ الْكُفَّارُ، وَعَذَّبُوهُمْ عَلَى الْإِيمان، بعذاب دُونَ ما عَذَّبَ به فِرْعَوْنُ بَني إِسْرائيل بكثير، تَسْلِيَةً لَهُمْ بما وَقَعَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ، وَحَثًّا عَلَى الصَّبْر، ولذا قَالَ هُنَا: «وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» (العنكبوت: ٣)، وَأَيْضًا لَمَّا كَانَ في خاتمة الْأُولَى الْإِشَارَةُ إلى هِجْرَة النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أَيْ في قَوْله تعالى: «إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ» (القصص: ٨٥) عَلَى بَعْض الْأَقْوال، وَفي خاتمة هذه الْإِشَارَةُ إلى هِجْرَة الْمُؤْمنين بِقَوْله تَعالى: «يَٰعِبَادِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ» (العنكبوت: ٥٦) نَاسَبَ تَتَالِيهما. «روح المعاني ٢٠/١٣٢».

«الم «١» أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ»

تطلق الفتنة على البلاء والمحنة لأن المحن تميز الطيب من الناس عن الخبيث

سِرُّ وجود الحروف المَقطعة في أوائل السُّور:

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ في سِرِّ وُجُود الْحُرُوف الْمُقَطَّعَة في أَوَائل السُّوَر، وَالرَّاجِحُ -والله أَعْلَمُ بأَسْرَار كلامه- أَنَّ الْمُرادَ بها إِثْبَاتُ كَوْن الْقُرْآن كلامَ الله رَبِّ الْعالَمين، وَإِبْطالُ قَوْل الْمُشْرِكين أَنَّ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم افْتَرَاهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ مُؤَلَّفٌ من هذه الْحُرُوف الَّتي يَتَأَلَّفُ منها كَلامُهُمْ، وَمُحَمَّدٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، لسانُهُ لسانُهُمْ، وَقَدْ عَجَزُوا أَجْمَعُونَ أَنْ يَأْتُوا بمِثْل هذا الْقُرْآن فَمُحَمَّدٌ أَعْجَزُ، فَثَبَتَ أَنَّهُ كلامُ الله أَوْحَاهُ إِلَيْه، كَمَا قَالَ تَعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ الْغَٰفِلِينَ» (يوسف: ٣).

تعريف الفِتْنَة:

«أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ»

الْفِتْنَةُ في الْأَصْل إِدْخالُ الذَّهَب في النَّار لتَمْييز جَيِّده مِنْ رَدِيئه، ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ في التَّعْذيب بالنَّار، كَمَا في قَوْله تعالى في قِصَّة أَصْحاب الْأُخْدُود «إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ» (البروج: ١٠)، وَقَالَ تعالى عَن الْكافرين: «قُتِلَ الْخَرَّٰصُونَ ١٠ الَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ» (الذاريات: ١٠-١٤).

ثُمَّ أُطْلِقَت الْفِتْنَةُ على الْبَلاء وَالْمِحْنَة، لأَنَّ الْمِحَن تُمَيِّزُ الطَّيِّبَ مِنَ النَّاس والْخَبيث، فَالطَّيِّبُ إذا ابْتُلِيَ صَبَرَ واحْتَسَبَ، وَعَلِمَ أَنَّ ذلك من الله عَدْلًا، فَرَضِيَ بقَضاء الله، واسْتَسْلَمَ له، وَفَرَّ إِلَيْه بما يُحِبُّهُ ليُعافيه مِمَّا يَكْرَهُهُ. وَالْخَبيثُ من النَّاس إذا ابْتُلِيَ سَخِطَ وَغَضِبَ، وَظَنَّ أَنَّ الدِّين هُوَ سَبَبُ الْمِحَن وَالْبَلاء فَارْتَدَّ عَنْهُ، وَفي هؤلاء يَقُولُ الله تَعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» (الحج: ١١)، وَيَقُولُ تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ

أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ » (العنكبوت: ١٠).

الابتلاء سنة كونية:

ومعنى الآية: أحسبوا أن يقع الاكتفاء بمجرد استجابتهم، وظاهر إنابتهم، ولما يقع امتحانهم بالشدائد والمشقات، وضروب الاختبارات، كلا، لنبلونهم كما بلونا من قبلهم، « سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا » (الأحزاب: ٦٢)، ولذلك قال تعالى: «ولقد فتنا الذين من قبلهم» وقال تعالى: «وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ » (الدخان: ١٧).

العلة من الابتلاء:

ثم بين سبحانه وتعالى العلة من الابتلاء، فقال: «فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»، كما قال تعالى فيما أصاب المؤمنين يوم أحد: «وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ » (آل عمران: ١٦٦-١٦٧).

والظاهر المتبادر من «وليعلم» غير مراد، فالله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وقد خلق الخلق بعلمه، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وإنما المراد ليظهر لبعضهم من بعض عند الفتنة والابتلاء ما لم يكن ليظهر قبل ذلك، حتى يشهدوا على أنفسهم، وتقوم الحجة عليهم باعترافهم.

> من الحسبان الخاطئ أن يحسب الناس أن يتركوا بلا ابتلاء ولا امتحان

والعاقبة للمتقين:

وفي هذه الآية تعزية للمضطهدين المعذبين من المؤمنين المستضعفين، أن اصبروا على ما أصابكم، واثبتوا على دينكم، فستكون العاقبة لكم كما كانت لإخوانكم المؤمنين من قبلكم لما صبروا، كما سبق بيانه في سورة القصص، وكما قال تعالى: «وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ » (الأعراف: ١٣٧)، وقال تعالى: « أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ » (البقرة: ٢١٤).

فمن الحسبان الخاطئ أن يحسب الناس أن يتركوا بلا ابتلاء ولا امتحان، ومن الحسبان الخاطئ أن يحسب المسيئون الظالمون أنهم مفلتون من عذاب الله: «أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا» أي يعجزونا ويفلتوا من عذابنا؟! «ساء ما يحكمون». فإن الله تعالى لا يعجزه شيء، ولا يعجز عن شيء، وهو سبحانه وإن أمهل الكافرين فلن يهملهم، كما قال تعالى: « وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ » (آل عمران: ١٧٨)، وقال تعالى: « وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا » (الكهف: ٥٨)، وقال تعالى: «فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ » (القلم: ٤٤-٤٥) وفي الحديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». قال: ثم قرأ «وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد» (هود: ١٠٢). «صحيح البخاري ٤٦٨٦».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

ماذا يجري في وول ستريت؟

وكيف خسرت صناديق الاستثمار في أيام قلائل ٧٠ مليار دولار؟

22-51
WALL ST

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

صناديق الاستثمار:

فصناديق الاستثمار وعاء مالي لتجميع مدخرات الأفراد واستثمارها في الأوراق المالية، وغالبًا ما يكون إنشاء صناديق الاستثمار بواسطة البنوك وشركات التأمين، ويديرها جهة ذات خبرة في إدارة محافظ الأوراق المالية «مدير استثمار» مقابل أتعاب، وكان الملك "وليام" ملك هولندا هو أول من نُسبت إليه فكرة الاستثمار الجماعي عام ١٨٢٢م، أما بداية ظهور الصناديق الاستثمارية فكانت في لندن عام ١٨٦٨م بإنشاء الصندوق الذي عرف باسم "صندوق إدارة المستعمرات للاستثمارات"،

إعداد
د. أيمن خليل

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبحت شركات الاستثمار تحتل مكانة بارزة بين المؤسسات المالية الأمريكية، ففي حين كان عدد هذه الصناديق ٥٥٠ صندوقًا عام ١٩٦٦م صافي أصولها ٥٠ مليار دولار، زادت بعد ثلاثة عقود ليبلغ عددها ٥٦٥٥ صندوقًا بلغ صافي أصولها ٢٧٠٠ مليار دولار ٢,٧ تريليون دولار، وبعد سنوات قلائل تضاعفت هذه المبالغ حتى بلغ صافي أصول أحد صناديق الاستثمار بمفرده وهو صندوق Fidelity ٢٠٠ مليار دولار، ولذلك عرفت صناديق الاستثمار بحيتان البورصة. والارتباط وثيق بين هذه الصناديق وبورصة الأوراق

المالية التي تستثمر فيها أصول تلك الصناديق.

بيع الأسهم على المكشوف Short Selling:

في وول ستريت خاصة -وفي سائر البورصات بصفة عامة- توجد ممارسة شائعة تقوم بها صناديق الاستثمار الكبرى، وهي بيع أسهم شركات معينة على المكشوف؛ وفي البيع على المكشوف يقوم المضارب باقتراض أسهم شركة معينة من شركة سمسرة مقابل رسوم متفق عليها ليبيعه في السوق بسعره الحالي، ويلتزم هذا المضارب بأن يرد هذه الأسهم في أجل محدد في المستقبل القريب، وهذا المضارب يتوقع أن يتمكن من شراء هذه الأسهم لاحقًا بسعر أقل ليردها إلى شركة الوساطة ويغلق مركزه المفتوح، ويحقق الربح من الفارق بين سعري البيع والشراء. وهذه ما تفعله دومًا صناديق الاستثمار حيث تقوم بالبيع على المكشوف بكميات بالغة الضخامة للأسهم التي تعتقد أن سعرها سيتراجع؛ بل إن شئنا لقلنا التي تعمل الصناديق عن عمد إلى خفض أسعارها من خلال المضاربات والشائعات التي تدفع حملة الأسهم وخاصة من صغار المتداولين إلى بيعها؛ خوفًا من انخفاض أسعارها مستقبلاً، مما يدفع سعر السهم للتراجع أكثر، وحينئذٍ تقوم هذه الصناديق بشراء تلك الأسهم بأسعار أرخص لتغطي مراكزها المكشوفة، ولتحقق ربحًا من وراء المضاربة باستخدام البيع على المكشوف على حساب المستثمرين الأفراد الصغار والذين يعتبرون صيدًا سهلاً.

ولأن هذا الأمر يتكرر بصفة دورية وباستخدام نفس الأسلوب يطلق البعض على المستثمرين الأفراد الصغار "dumb money" «أموال غبية»، وسبب التسمية أن هذه الأموال محكوم على أصحابها بالخسارة دائمًا أمام كبار المستثمرين وخاصة الصناديق الاستثمارية والتي تحقق ثروات طائلة من جراء هذه المضاربات حيث يمكن للسهم الواحد أن يفقد ٣٠٪ من قيمته في جلسة تداول واحدة؛ خاصة وأن تلك الأسواق التي تتحرك فيها الأسعار بحرية تامة وفقًا لآليات العرض والطلب ودون أي حدود سعرية، ومن ثمَّ يحقق البائع على المكشوف ثروة طائلة.

> **في وول ستريت خاصة - وفي سائر البورصات بصفة عامة - توجد ممارسة شائعة تقوم بها صناديق الاستثمار الكبرى، وهي بيع أسهم شركات معينة على المكشوف**

وتلجأ صناديق الاستثمار إلى المضاربة بالبيع على المكشوف؛ لأن الهبوط عادة ما يكون أكثر سرعة من الارتفاع في الأسواق المالية نتيجة تغلب عامل الخوف على عامل الأمل لدى المتداولين مما يجعل الفرصة للاستفادة من الهبوط أكبر.

بيع أسهم شركة جيم ستوب على المكشوف:

شركة "جيم ستوب" هي شركة ألعاب الفيديو والأجهزة الإلكترونية، وكغيرها من الشركات تأثرت سلبًا منذ بداية وباء كورونا؛ حيث سجلت في عام ٢٠١٩م خسارة قدرها ٤٧٠ مليون دولار؛ نتيجة لاعتمادها في نشاطها على متاجرها الحقيقية التي جاوزت الألف متجر والموجودة في كافة أنحاء الولايات الأمريكية، ونتيجة اتجاه أغلب المستهلكين إلى التعامل مع التجار الإلكترونيين للألعاب، ظل السهم في انخفاض مطرد حتى وصل إلى ٣,٢٥ دولار في إبريل ٢٠٢٠م، وفي بداية يناير ٢٠٢١م قررت شركة "جيم ستوب" تعيين أحد مستثمريها الرئيسيين، وهو "ريان كوهين" مؤسس شركة أغذية الحيوانات الشهيرة "تشيوي" واثنين من مساعديه في مجلس إدارة الشركة بعد شرائهم لحصة ١٣٪ من أسهم الشركة، وهو ما كان سببًا في

SAP
SAP
LISTED
NYSE
SAP
SAP
NYSE
SAP
SAP

تفاؤل كثير من المستثمرين الأفراد بمستقبل الشركة، وهو ما أدَّى إلى ارتفاع سهم "جيم ستوب" ليصل إلى ٣١ دولارًا.

وهنا تدخلت صناديق الاستثمار في وول ستريت للمراهنة على تراجع سهم جيم ستوب، لتوقعها بانخفاض سعره لا محالة للحالة المهترئة للشركة، فقامت تلك الصناديق باقتراض كميات ضخمة من سهم "جيم ستوب" وبيعها على المكشوف آملة أن ينخفض سعره وأن ينفض الجميع من حوله، وبدأت الحرب النفسية على حملة هذا السهم بإعلان أحد أضخم صناديق الاستثمار وهو صندوق "ميلفن كابيتال" عن مراهنته على انخفاض سعر سهم "جيم ستوب"، وهو ما أدَّى بالفعل إلى انخفاض سعر هذا السهم.

شباب الإنترنت يعلنون الحرب على حيتان وول ستريت:

في أعقاب الثورات التي عرفت بالربيع العربي ظهرت الدعوة إلى عولمة المظاهرات ونقلها إلى سائر بلدان العالم، وبالفعل خرجت المظاهرات في أكثر من ١٠٠٠ مدينة في ٢٥ دولة تضم بعضًا من أكبر اقتصادات العالم، وتوسَّعت لتتحول إلى حركة عالمية أصدرت بيانًا تطالب فيه بانتفاض الشعوب ضد الحكومات ورؤوس المال والاقتصاد؛ لأنهم "لا يمثلونهم".

وظهرت الدعوة التي عرفت بمسمى احتلوا وول ستريت Occupy Wall Street واندلعت الاحتجاجات في شارع وول ستريت بمدينة نيويورك، وحاول المحتجون احتلاله معربين عن رغبتهم بتحويله إلى "ميدان تحرير أمريكي"، واستمر الاعتصام لأكثر من شهر حتى تم فضه والقبض على المئات من المتظاهرين، واذا كانت حركة "احتلوا وول ستريت" لم تنجح، فقد طوَّر الشباب هذه الحركة وحولوها إلى ساحة حرب مع حيتان وول ستريت وذلك عبر ميدان آخر وهو الإنترنت؛ حيث قام مئات الآلاف من صغار المتداولين بتنظيم صفوفهم في تجمع يطلق عليه «رهانات وول ستريت» Wall Street Bets، والذي كون صفحات على موقع "ريديت" الأمريكي الشهير للتواصل الاجتماعي، ولذلك ما أن كشف صندوق "ميلفن كابيتال" عن مراهنته على انخفاض سعر سهم "جيم ستوب"، حتى قرَّر متداولو " Wall Street Bets " شراء كل الكميات المتاحة من أسهم شركة جيم ستوب وهو ما ساهم في ارتفاع سعره، فعلى سبيل المثال ارتفعت قيمة سهم "جيم ستوب" بنسبة ١٨٪ يوم الاثنين، ثم في اليوم التالي الثلاثاء ٩٣٪، لتبلغ ١٣٥٪ في يوم الأربعاء، لتصل الزيادة إلى أكثر من ١٧٠٠٪ على مدار شهر يناير ٢٠٢١ فقط حيث بلغ سعر السهم يوم ٢٠٢١/١/٢٦م ١٤٧ دولار، ثم بلغ في اليوم التالي ٣٥٠ دولار لتقفز القيمة السوقية للشركة من ملياري دولار فقط إلى

٢٤ مليار دولار.

وزاد هذا التجمع وتزايد عدد أعضائه بشكل كبير جدًا خلال أيام حتى وصل إلى نحو ستة ملايين عضو من المتداولين الأفراد، قاموا جميعًا بعمليات شراء لسهم "جيم ستوب" لرفع ثمنه لإرهاق صناديق الاستثمار وإلحاق أكبر خسارة بها، ولأن صناديق الاستثمار يجب عليها شراء الأسهم التي باعتها على المكشوف لتردها إلى شركات السمسرة وإلا لتعرضت للإفلاس، ونتيجة ارتفاع سهم "جيم ستوب" فقد لحقت صناديق الاستثمار خسائر تقدر بنحو ٧٠٫٨٧ مليار دولار.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما نقل مستخدمو موقع "رديت" نشاطهم إلى أسهم كافة الشركات التي تتعامل عليها صناديق الاستثمار على المكشوف مثل أسهم سلسلة دور السينما "آي بي سي" والتي ارتفع سهمها بنسبة ٣٠٠٪، وشركة "بلاك بيري" المصنَعة لبرمجيات المؤسسات والتي ارتفع سهمها حوالي ٣٣٪.

وامتدت الخسائر الفادحة إلى أضخم الصناديق مثل: "ميلفن كابيتال" و"دان سوندهايم"، و"بوينت ٧٢"، وانتقلت هذه الحرب من الولايات المتحدة إلى أستراليا وخاصة إلى أسهم شركتي "وبجت"، ومجموعة "تاسال" الاستراليتين، وإلى أوروبا مثل أسهم "بيرسون"، و"سينوُرلد"، وهو ما ألحق خسارات فادحة بصناديق الاستثمار التي تعتمد على البيع على المكشوف، وما زال نزيفها مستمرًا.

لا تبع ما ليس عندك:

رأينا أن صناديق الاستثمار كانت تعظَم أرباحها من البيع على المكشوف بأن تبيع السهم في الحال ثم تشتريه في المستقبل القريب بثمن أقل وتربح الفارق بين السعرين، وهو ما يعني أن هذه الصناديق تبيع ما لا تملك وهو ما يخالف النهي الذي يتضمنه حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، يأتيني الرجل فيسألني البيع ليس عندي أبيعه منه ثم أبتاعه له من السوق؟ قال: لا تبع ما ليس عندك «رواه النسائي وأبو داود والترمذي».

ومن ثم لا بد أن يكون المبيع موجودًا عند العقد، ولا بد أن يكون المبيع مملوكًا للبائع عند إبرام العقد، وفي البيع على المكشوف ينتفي ذلك وهو ما يجعل من هذه المعاملة محظورة لهذا النهي ولاعتمادها على المقامرة، ولو امتثل هؤلاء لنهي النبي صلى الله عليه وسلم واجتنبوا هذه المعاملات لتجنبوا هذه الخسائر الفادحة.

ونلاحظ مما سلف أن مسمى "صناديق الاستثمار" لا يتسم بالدقة؛ حيث لا يعبر عن حقيقة النشاط التي تقوم به هذه الصناديق، حيث إن الاستثمار يعني مزاولة الأنشطة الانمائية للثروات الزراعية أو الصناعية على نحو يؤدي إلى زيادة الأصول الانتاجية والثروات القومية للمجتمع، أما ما تقوم به هذه الصناديق فهو مجرد تداول لأسهم وسندات الشركات القائمة فعلاً، فهو تغيير للمالك دون أي إضافة إلى الأصول الإنتاجية في المجتمع، ومن ثمَ فالأصوب أن تسمى هذه الصناديق صناديق توظيف الادخار.

ولو أن هذه الصناديق توجهت إلى الاقتصاد العيني الحقيقي كالزراعة والصناعة لحققت النمو الحقيقي؛ لأنه لا نهضة لأيَ أمة تعتمد في اقتصادها على المضاربات والمقامرات، وإنما تنهض بما ينتجه أبناؤها بسواعدهم وكدهم في مجالات الزراعة والصناعة؛ فهذا هو الاقتصاد الحقيقي، أما اقتصاد الكسالى والمقامرين فلا يمكن لأمة من الأمم أن تنهض به، وإن حقق البعض من ورائه أرباحَا كبيرة عاجلة فلا ينبغي أن نغتر بالباطل وإن انتفش فمردُ ذلك إلى زوال، وفيما يحدث لصناديق الاستثمار في وول ستريت «حيتان البورصة» عبرة وعظة.

والحمد لله رب العالمين.

قانون المعرفة الإسلامي

٣

إعداد أ. د/ أحمد منصور سبالك

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فيا أيها القارئ الكريم:

ما زال الحديث بنا مستمرًا حول قانون المعرفة الإسلامي، وقد وصل بنا الكلام على الوحي والنبوة، ووقفنا عند الكلام على الأمور العقلية التي تثبت النبوة، وتكلمنا في هذه الجزئية على «فلاسفة التصوف الإشراقي»، وعرضنا الكلام في أن الوحي بما أنه يكون معرفة استشراقية فلابد أن يكون الوحي مكتسبًا، أي المعرفة تكون مكتسبة عند الطلب فقط، ووضحنا بطلان هذا الكلام، وبينا أن تصديق الأنبياء لا يكون بالأدلة العقلية بل بالتسليم العام لما جاؤوا به.

ووقفنا إلى أن هناك ضوابط وأسسًا عقلية في هذا الباب، وهذه الضوابط هي:

أولاً: إن الوحي نفسه جاء بما يتضمن ثبوته وصدقه، أي الإيمان بأن القرآن وحي لا يتوقف على أدلة خارجية عنه تثبت ذلك، وإن كانت ضرورية في ذلك، بل لابد أن يتضمن هو الدلالة على ثبوته، ويكون الوحي دليلاً ومدلولاً معًا، ولهذا تجد في القرآن الكريم دلالات كثيرة جدًا، فبعد أن تعهد الله سبحانه بحفظ القرآن حينما قال: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (الحجر: ٩). فكانت العصمة من الذي وقع في الكتب السابقة من التحريف والتبديل، فجاءت الدلالات الكثيرة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ما جاء به لا بد أن يكون وحيًا من الله تعالى لا من عند نفسه كما قال البعض.

وهذا كان سببًا من الأسباب التي ورد بها التحدي للمكذبين أن يأتوا بمثله على درجات تبين عظم قدر هذا التحدي، ففي الإسراء قال: «قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» (الإسراء: ٨٨). ثم في هود قال: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ» (هود: ١٣).

وبعد النزول من المثل إلى عشر سور منه، نزل إلى سورة فقال في البقرة: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا

مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ » (البقرة: ٢٣).

وقمة التحدي تكمن في أن القرآن كلام الله تعالى، ومع أنه « بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ » (الشعراء: ١٩٥). لم يستطع العرب الإتيان بمثله رغم براعتهم في العربية؛ لأن الفارق بين كلام الله وكلام البشر واضح، فما يتصف به الخالق يختلف عما يتصف به المخلوق، فلا يمكن لمخلوق أن يتكلم بكلام من مثل كلام الله تعالى.

وليس معنى أن العرب تتكلم بالعربية والقرآن عربي أن يأتي العرب بمثل القرآن. وهنا تأتي أكذوبة بعض المتكلمين الذين نشروا أن كل نبي جاء بمعجزة تناسب قومه، فجاء موسى بالسحر؛ لأن قومه برعوا فيه، وجاء عيسى بالطب؛ لأن قومه برعوا فيه، وجاء محمد بالقرآن لأن قومه برعوا في العربية.

وهذا خطأ عقدي فادح، فلم يأت موسى بالسحر، وإلا لما آمن السحرة؟!

لأنهم علموا أنه حقيقة لا سحر!!

وأيضًا ما جاء عيسى بالطب؟ فإن البرص موت للجلد، والبكم: فقد القدرة على الكلام، ولا يقدر أحد على إحياء هذه إلا الله تعالى ولهذا ختم الحديث بقوله: «يُحْيِي الْمَوْتَى»، وقال: «بِإِذْنِ اللَّهِ».

وكذلك جاء التحدي للعرب بأن يأتوا بمثله، ثم بعشر سور ولو مفتريات، ثم سورة من مثله، فلم يستطيعوا ذلك!!

والأصل في ذلك أن إرسال الرسل صفة فعلية لله تعالى دلت عليها النصوص، فلا يكون التماثل بين صفة لله تعالى وبين فعل الخلق.

ومن هنا يعلم خطأ القول بالصرفة، وحقيقته أن أساس التحدي إنما هو صرف الله تعالى للخلق وتعجيزهم عن أن يستطيعوا الإتيان بمثله، والعلة في صرف الله لهم أن الله تعالى لو لم يصرفهم عن ذلك لكان الإعجاز القرآني راجعًا عن أمر خارج عن القرآن، لا إلى ما في القرآن من فارق بينه وبين كلام البشر، حتى يكون إعجازه البياني من ذاته لا من أمر خارج عنه، وقد علمت أنه قول فاسد.

ونقول أيضًا: إن الوحي تضمن من الأدلة على النبوة ما ورد فيه من أخبار غيبية، منها ما حدث ومنها ما سيحدث، وما كان لهذه الأخبار أن يعلمها نبينا صلى الله عليه وسلم بأي وسيلة بشرية، ومنها على سبيل المثال الحرب التي ستكون بين الفرس والروم، والتي صور الحق تبارك وتعالى الكلام عنها في خمس آيات من سورة الروم، حتى يصدقوا بقوله: « قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ » (الفرقان: ٦)، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم إلى قال عنه وعن القرآن: «وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً».

وأيضًا إخبار القرآن من الإعجاز العلمي الذي يخبر به العلماء حتى الآن وإلى قيام الساعة، بل وهناك أمور لم يعلم النبي صلى الله عليه وسلم عنها شيئًا طوال حياته، فعندما يأتي الكلام عنها في القرآن يكون الدليل قاطعًا على صدق نبوته وثبوت الوحي.

إنه لحق إعجاز تشريعي لا مثال له.

فحقًا إنه وغيره لأدلة قاطعة من الوحي نفسه على ثبوت الوحي وصدق النبوة، الذي قال عنها الحق تبارك وتعالى في النجم: « وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ③ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ » (النجم: ٣، ٤).

صدق الحق تبارك وتعالى، وصدق رسوله الكريم فيما بلغ عن رب العزة سبحانه.

هذا وسنتكلم في المقال القادم عن الأمر الثاني والضابط الثاني من الضوابط العقلية على صدق النبوة، وهو الكلام على المعجزات الحسية الخارقة للعادة والسنن الجارية في قدر الجن والإنس.

إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه أجمعين.

ضرب لكم مثلاً من أنفسكم

إعداد **مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا العدد نتكلم عن مثل من الأمثال القرآنية، وهو في سورة الروم الآية (٢٨) و(٢٩) قال: « ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٨) بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ » (الروم: ٢٨، ٢٩).

المعنى الإجمالي

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له كما كانوا في تلبيتهم يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك.

فقال تعالى: « ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ » أي: تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم « هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ »، أي: لا يرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكا له في ماله فهو وهو فيه على السواء « تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ » أي: تخافون أن يقاسموكم الأموال، ثم قال تعالى مبينًا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفهًا من أنفسهم وجهلا « بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا » أي: المشركون: « أَهْوَاءَهُم » أي: في عبادتهم الأنداد بغير علم « فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ » أي: فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم « وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ » أي: ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه؛ لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. (تفسير ابن كثير).

معاني المفردات

قوله تعالى: « ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا »: المثل بمعنى الشبه والنظير، (يعني: ضرب لكم أمرًا نظيرًا لما فعلتم أنتم في جانب الله عز وجل، وهذا المثل « هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ ».)

« مِّنْ أَنفُسِكُمْ » من لابتداء الغاية أي مثلاً منتزعا كائنا ومأخوذا من أنفسكم، فإنها أقرب شيء منكم وأبين من غيرها عندكم فإذا ضرب لكم المثل بها في بطلان الشرك كان أظهر دلالة وأعظم وضوحا.

« هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ » الاستفهام مستعمل في الإنكار ومناط الإنكار قوله « مَا رَزَقْنَاكُمْ » إلى آخره، أي من شركاء لهم في هذا الشأن.

و« من » في قوله: « مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم » تبعيضية، و« من » في قوله: « مِّن شُرَكَاءَ » مؤكدة لمعنى النفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري والشركاء: جمع شريك. فقوله « مِّن شُرَكَاءَ »: أي مشاركين لكم.

قوله تعالى: « فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ » من الأموال وغيرها فأنتم وهم « فيه سواء ».

قوله تعالى: « فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ » ليست عائدة على النفي، لكنها عائدة على المنفي يعني: فهل أنتم سواء فيما رزقناكم.

قوله تعالى: « تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ » قال مقاتل: يعني: أتخافون عبيدكم أن يرثوكم بعد

الموت كما تخافون أن يرثكم الأحرار.

قوله تعالى: ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ تفصيلاً واضحًا وبيانًا جليًا لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها.

قوله: ﴿لقوم يعقلون﴾ أي: يتدبرون.

﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ ﴿بل﴾ حرف إضراب وعطف. و﴿اتبع﴾ الاتباع: اقتفاء الأثر. يقال تبعه واتبعه. فتارة يكون بالجسم نحو تبعته في الطريق واتبعته فيها، وتارة بالامتثال.

﴿الذين ظلموا﴾: والظلم هنا يشمل الإشراك وغيره كإنكار البعث. فإنكار البعث لا شك أنه ظلم لأنه يستلزم تكذيب الله تعالى وغير ذلك من أنواع الظلم.

﴿أهواءهم بغير علم﴾ أي لم يعقلوا الآيات بل اتبعوا أهواءهم الزائغة وآراءهم الفاسدة الزائفة، والمعنى جاهلين بأنهم على ضلالة.

﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي: لا أحد يقدر على هدايته؛ لأن الرشاد والهداية بتقدير الله وإرادته.

﴿وما لهم من ناصرين﴾ ينصرونهم، ويحولون بينهم وبين عذاب الله سبحانه وتعالى. (معاني المفردات مستفادة من: تفسير ابن عثيمين- فتح البيان لصديق حسن القنوجي- التحرير والتنوير لابن عاشور- بحر العلوم للسمرقندي- عمدة الحفاظ للسمين الحلبي بتصرف).

المعنى التفصيلي:

أبان الله تعالى في الآيتين الكريمتين أمر الأصنام، وأوضح فساد معتقد من يشركها بالله تعالى، يضرب هذا المثل الحسي الواقعي، ومعناه: جعل الله لكم مثلاً أيها المشركون تشهدونه من أنفسكم، وهو: هل ترضون أن يكون لكم شركاء في أموالكم، من عبيدكم يساوونكم في التصرف فيها، تخافون أن يقاسموكم الأموال؟ إذ كنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، فكيف تجعلون لله شركاء من عبيده ومخلوقاته؟

إن هذا التفصيل والبيان لإلزام الحجة، نفصل الآيات ونوضحها لقوم يفكرون بعقولهم تفكيرًا سويًا، ويتأملون فيما يقال لهم من الأدلة والبراهين المنطقية.

والواقع أنكم أيها المشركون لا تفكرون تفكيرًا صحيحًا، وإنما تسيرون مع الأهواء والأساطير، ليس لكم حجة فيما فعلتم من جعل الأصنام شركاء مع الله تعالى، بل اتبعتم أهواءكم جهالة وشهوة، وقصدًا لتحقيق مصالح دنيوية، وسرتم في عبادة الأوثان، من غير عقل ولا وعي، ولا بصيرة ولا يكون لكم حينئذ ناصر ينصركم من بأس الله وعذابه؛ لأن الله أعذر حين أنذركم. (التفسير الوسيط لوهبة الزحيلي: بتصرف).

وقال ابن القيم رحمه الله: «هذا دليل قياس، احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها. فقال: هل لكم من ما ملكت أيمانكم من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء؟ تخافون أن يقاسموكم ويشاطروكم إياها ويستكثرون ببعضها عليكم، كما يخاف الشريك شريكه». (إعلام الموقعين: ٢/٢٨١-٢٨٢).

ثم قال تعالى مبينًا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفهًا من أنفسهم وجهلاً ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ أي: المشركون ﴿أهواءهم﴾ أي: في عبادتهم الأنداد بغير علم ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي: فلا أحد يهديهم إذا كتب الله ضلالهم ﴿وما لهم من ناصرين﴾ أي: ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير ولا محيد لهم عنه، لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. (تفسير ابن كثير).

من فوائد الآيات:

الفائدة الأولى: المناداة بجهل هؤلاء المشركين وعنادهم؛ لأنهم جعلوا لله شركاء من مملوكيهم، وأما عنادهم؛ لأن الأمر واضح، ولهذا قال: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ ومع هذا عاندوا وأصروا على الشرك حتى إنهم في تلبيتهم يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. فانظر الجهل.

الفائدة الثانية: أتبع ضرب المثل لإمكان إعادة الخلق عقب دليل بدئه بضرب مثل لإبطال الشرك عقب دليليه المتقدمين في قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ من الميت﴾ وقوله: ﴿ويحيي الأرض

بعدَ موتِها»، لينتظم الدليل على هذين الأصلين المهمين: أصل الوحدانية، وأصل البعث، وينكشف بالتمثيل والتقريب بعد نهوضه بدليل العقل، والخطاب للمشركين.

الفائدة الثالثة: إن المشركين وغيرهم من الذين ظلموا أنفسهم إنما اتبعوا أهواءهم، أما العقل ما استعملوه، ولكن مجرد هوى، ولو اتبعوا العقول ما خالفوا المنقول.

الفائدة الرابعة: إن الأمور كلها-الهداية والضلال والصلاح والفساد- بيد الله لقوله تعالى: «فمن يَهْدي مَنْ أَضل اللـهُ».

الفائدة الخامسة: تقييد اتباع الهوى بأنه بغير علم في قوله تعالى: «بَـل اتَّـبعَ الـذيـنَ ظَلمُوا أَهْواءهُم بغَيْر علم» تشنيع لهذا الاتباع فإنه اتباع شهوة مع جهالة، فإن العالم إذا اتبع الهوى كان محرزًا من التوغل في هواه لعلمه بفساده، وليس ما هنا مماثلًا لقوله تعالى: «ومَنْ أَضلُّ ممَّن اتَّبعَ هَواهُ بغَيْر هُدًى مِّن اللـه» قيد كاشف من حيث إن الهوى لا يكون إلا ملتبسًا بمغايرة هدى الله.

الفائدة السادسة: إن الله سبحانه وتعالى لا يضل أحدًا إلا لظلمه إذ هو الذي بدأ وانحرف في إرادة سيئة، فظلم فأضله الله لقوله تعالى: «بل اتَّبعَ الَّذينَ ظَلمُوا أَهْواءهُم بغَيْر علم» «فَمَن يَهْدي مَنْ أَضلَّ اللـهُ».

هذا مفرع على الذي قبله، ولهذا أوتي بـ «الفاء» «فَمَن يَهْدي» إشارة إلى أن إضلالهم إنما كان بسبب ظلمهم، هم الذين ظلموا فأضلوا والعياذ بالله.

الفائدة السابعة: إذا قائل: قوله تعالى: «وما لَهُم مِّن نَّاصرينَ» هل يشكل عليه ما وقع من نصر المشركين في أحد، حيث حصلت هزيمة على المسلمين، ومعلوم أنه انتصار للكافرين؛ لأن الهزيمة لخصم انتصار للخصم الآخر، ولهذا قال أبو سفيان: «اعل هبل» في ذلك اليوم، فهل ينافي الآية الكريمة؟.

قلنا: كان نصرهم ليس لأجل أن ينتصروا، ولكن لأجل ابتلاء الآخرين ولهذا كانت العاقبة للمؤمنين، بل قال الله عز وجل مشيرًا إلى الحكمة من انتصارهم: « لِيَقۡطَعَ طَرَفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ » (آل عمران: ١٢٧).

قال أهل العلم: إن انتصارهم هذا يؤدي إلى أن يتشجعوا على محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تكون نهايتهم أن يقطع طرفًا منهم. وحقيقة هذا الظهور على المسلمين ليس نصرًا لهؤلاء، ولكن من أجل الاستدراج بالنسبة لهم، والابتلاء والامتحان بالنسبة للمؤمنين لمخالفتهم لقوله تعالى: «حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ » (آل عمران: ١٥٢)، يعني: بعدما أراكم ما تحبون حصل ما تكرهون. مستفاد من (تفسير ابن عثيمين- والتحرير والتنوير لابن عاشور بتصرف).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تهنئة

تهنئ جمعية أنصار السنة المحمدية بمصر، ومجلس إدارتها بالمركز العام وأسرة تحرير مجلة التوحيد المشرف والأمين العام الأستاذ الدكتور/ **مرزوق محمد مرزوق** لحصوله على درجة الأستاذية في علوم السنة النبوية، متمنين له دائم القرب من الله، والترقي في خدمة المسلمين آمين.

أخلاق المسلمين وحاجة العالم إليها

الحلقة 1

إعداد د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد خلق الخلق لتوحيد رب البرايا، ثم رتب عليه ما يكون من شرائع وشعائر وكريم السجايا، ثم الصلاة والسلام على المبعوث للخلق قدوة وهداية، وبعد :

أولا: الحديث :

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" إنما بعثت لأتمم مكارم (و في رواية صالح) الأخلاق .

ثانيا : تخريج الحديث والحكم عليه :

(صحيح) صححه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١/ ٧٥: قال : (رواه البخاري في " الأدب المفرد " رقم (٢٧٣) ، وابن سعد في " الطبقات "(١/ ١٩٢) ، والحاكم (٢/ ٦١٣) ، وأحمد (٢/ ٣١٨) ، وابن عساكر في" تاريخ دمشق " (٦/ ٢٦٧ / ١) من طريق ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا.

وهذا إسناد حسن ، وقال الحاكم: " صحيح على شرط مسلم " ، و وافقه الذهبي.

و ابن عجلان ، إنما أخرج له مسلم مقرونا بغيره.

ثالثا : شرح الحديث :

كانت العربُ تتخلَّقُ ببعض من محاسن الأخلاق بما بقيَ عندهم من شريعة إبراهيمَ عليه السَّلامُ وظلوا على بعضها ، غير أنهم قد ضلُّوا بالكُفر عن كثيرٍ منها؛ فبُعِث صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ليعيد الناس لأصل خلقتهم فطرة ثم يتمم مكارمها صلاحًا ، وهذا بنص حديثنا الشريف :

يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: "إنَّما بُعثْتُ"، أي: أُرسلْتُ للخلْقِ، "لأُتمِّمَ"، أي: أُكمِّلَ ما انتقَصَ، "مكارمَ الأخلاقِ"، أي: الأخلاقَ الحَسنةَ والأفعالَ المُستحسَنةَ الَّتي جبَلَ اللهُ عليها عِبادَه؛ من توجيه العبودية لله وما يترتب عليها من العلم اعتقادًا وعملاً شرائع وشعائر ،

فينمى حسَنها نماء يأمر به ، ويمنع سيِّئها منعًا ينهى عنه .(وينظر : الموسوعة الحديثية بالدرر السنية)

رابعا : مما يستفاد من الحديث :

أولا : الدّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ. فمَنْ زادَ عليْكَ في الْخُلُقِ زاد عليْكَ في الدِّينِ (قاله ابن القيم في مدارج السالكين في ماهية الأخلاق ٢/٢٩٤).

فقد اتفق الجميع القاصي والداني على دور الأخلاق وفضلها وجميل السجايا ومدحها، فكما يقال: لا يختلف عليه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان اتفقوا جميعًا على ذلك لكنهم على اختلاف قلوبهم وما آمنت وعقولهم وما سلمت اختلفوا في ماهية الأخلاق وتعريفها

فماهي الأخلاق للجواب:

تلخيصًا لمسالك السلف ومباحثهم ثم تقارير الخلف نقول : لا يمكن أن تكون الأخلاق ما تعارف عليه القوم من إعطاء الدنية في الدين أو المعاداة لرب العالمين أو الموالاة لغير المسلمين حتى إذا دخلوا جحر ضب دخل مدعي التخلق وراءهم فأعلن الكثير منهم عن كون التفريط في اتباع الحق - مهما كانت ضوابطه حكيمة ومواعظه حسنة ، حتى ولو كان الحق عقيدة احتيج إلى بيانها حين وقتها - أعلنوا أن هذا التفريط إن كان للتقارب مع المخالفين فهو لحسن معاملتهم وجوارهم أو لعدم إحراجهم أو لأي مقصد يحتاج إلى ملاطفتهم أعلنوا أن هذا التفريط هو الأخلاق بزعمهم. وليس أدل على ما قلناه من واقع الناس في هذه الأزمنة الغابرة المتأخرة التي يحياها العالم هذه الأيام وترفعًا عن ضرب الأمثلة الملوثة للأسماع والآذان نقول إجمالًا خُوِّنَ الأمين وأؤتمن الخائن فتبدلت المبادئ والعقائد وطمست الأدلة والشواهد وصار الرويبضة خطيبًا وأمسى الواعظ غريبًا ولاغرابة فقد صدق الوعد الحق إذ أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم كما في سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال : (سيأتي على النَّاسِ سنواتٌ خدَّاعاتٌ يصدَّقُ فيها الكاذبُ ويُكذَّبُ فيها الصَّادقُ ويُؤتمنُ فيها الخائنُ ويُخوَّنُ فيها الأمينُ وينطقُ فيها الرُّوَيْبضةُ قيلَ وما الرُّوَيْبضةُ قالَ الرَّجلُ التَّافهُ يتَكلَّمُ في أمرِ العامَّةِ).

> **كانت العربُ تتخلَّق ببعض من محاسن الأخلاقِ بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم عليه السَّلامُ**

القول الحق :

فالحق الذي عليه الخلق هو ما قرره لهم ربهم وشرعه لهم نبيهم وبلغه عنه أصحابه ومنه رواية أمهم في وصفها لرسولنا وزوجها (كان خلقه القرآن) وأصدق الوصف وصف أقرب المعاشرين وهي زوجة النبي الأمين صلى الله وسلم وبارك عليه ورضي عنها وأصحابه ومن صح نسبه من الآل إليه .

معنى الخلق :

فإن كان الخلق في لغة العرب هو الطَّبع والسجيَّة فهو مرادف للفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما اتفق عليه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة -رضي الله عنه- فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم.

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (ص: ٧٩٣) : "الخُلق: بالضمِّ، وبضمتين: السجية والطَّبع، والمروءة والدين".

وقال ابن منظور : الخُلُق: بضم اللام وسكونها، وهو الدين والطبع والسجية (لسان العرب (١٠/٨٦) .

وحاصل ما تقدم فالأخلاق هى الدين لغة ، ثم بعد ذلك هى الدين شرعا ، وبيان ذلك أنه : عند النظر والاستقراء لنصوص الشارع نجد أن الاستخدام الشرعي للفظ "الخُلُق". لم يختلف كثيرًا

عن الوضع اللغوي لهذه الكلمة.

- فمن الكتاب : قوله تعالى على لسان قوم هود: «إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ» (الشعراء: ١٣٧)

"قال في كتاب (روح المعاني) : أي: ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا عادة الأولين الذين تقدمونا من الآباء وغيرهم) (١٦٧/١١).

وقال القرطبي أي : دين الأولين فخلق الأولين هنا بمعنى دينهم وعادتهم وأخلاقهم ومذهبهم، وهذا مرويٌ عن ابن عباس رضي الله عنه وقتادة والفرّاء وابن الأعرابي ومحمد بن يزيد وغيرهم (ينظر : الجامع لأحكام القرآن: (١٣: ١٢٥، ١٢٦)).

وكذلك قوله تعالى ذكره مخاطبا عبده ورسوله : « وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ » (القلم: ٤).

قال الطبري رحمه الله (٢٩/٢٤): "يقول - تعالى ذكره - لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلم: وإنك يا محمد، لعلى أدب عظيم، وذلك أدب القرآن الذي أدّبه به، وهو الإسلام وشرائعه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل".

وكذا عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد والضحاك قولهم في تفسير: (خُلُقٍ عَظِيمٍ): أي: دين عظيم، وهو الإسلام.

> يتفق المعنى اللغوي مع المفهوم الشرعي مع الإطلاق الاصطلاحي أن الأخلاق هي الدين فمن زاد في الخلق زاد في الدين

- ومن السُّنَّة المطهَّرة، فقد استخدمت لفظة الخُلُق كثيرًا: ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها في وصف خُلُق الرسول صلى الله عليه وسلم: ((كان خُلُقه القرآن)) [صحيح الجامع ٤٨١١)؛ أي: متمسّكًا بالقرآن وبآدابه، وأوامره ونواهيه، وما يَشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف. (أفاده السندي الامام محمد بن عبدالهادي في حاشيته على النسائي ج٣ ص٢٠٠)

- وفي رواية ذكرها الطحاوي رحمه الله في (مشكل الآثار (٤٤٣١): «كان خلقه القرآن؛ يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه يرضى برضاه ويسخط بسخطه»

ومن هذا فقد تآلف المعنى اللغوي مع المفهوم الشرعي حين يعبّر حُسْن الخُلق عن الالتزام بالآداب الشرعية الصادرة عن الأحكام القرآنية والتعاليم المنيرة النبوية . ثم ينضاف إليهما ثالث المعاني وتمام المباني وهو معنى الخلق اصطلاحًا فنجده متممًا لهما مفصلاً لما أجمل أو مبينًا لما أبهم :

إذ تصطلح الأخلاق باعتبارين: عام، وخاص :

فمن العام ما ذكره الغزالي في الإحياء (٣/٤٧) حين عرّف الخُلق بقوله: "الخُلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدُر الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكْر ورويَّة" .

ومنه فالأفعال الممدوحة من الأخلاق هى الأخلاق المشروعة و الفطرة المرجوة وهى المذكورة في المعاني اللغوية .

أما الإطلاق الأخص فقد زاد الأمر بيانا وعلا بحثه برهانا إذ يطلق على التمسُّك بأحكام الشرع وآدابه فعلاً وتركًا. (و ينظر : أخلاق الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية الصادر عن دار اليسر).

- ثم من سيرة الأصحاب : نجد البيان الواضح الجلي من جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ومع وضوحه بيانا يلخص هدف الرسالة المحمدية إجمالًا ، وذلك في قصته يوم أن وقف بين يدي النجاشي مجيبًا ولشبهاته التي ألقاها في ذهنه رسولًا قريش وقف ندا - وقد أرسلتهم قريش في طلب المسلمين من فر بدينه إلى بلاد الحبشة مهاجرا وللنجاشي جارًا - فأجاب جعفر رضى الله عنه ملخصًا للدين وما

يأمرهم ربهم وكيف أنه من مساوئ أخلاقهم طهرهم ونهاهم فجعل التوحيد في صدارة الأخلاق ومن أجل معانيها فالتوحيد وإن كان أول العبادات وحاكمها لكنه في النهاية سلوك يعقب اعتقاد .

روى الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح ٣٠١ ، ٣٠٢ / ١ من حديث أم المؤمنين أم سلمة وقد كانت من المهاجرات الأول إلى الحبشة تقول بعدما ذكرت ما كان من هجرتهم للحبشة وعندما سأل النجاشي جعفر تبين كيف رد جعفر على النجاشي ملخصا البعثة وما دعت إليه قالت : .... سَأَلَهُمْ (أي النجاشي) فَقَالَ: مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الأُمَمِ؟ قَالَتْ: فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جعفر بن أبي طالب فَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ. قَالَتْ: فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلامِ. انتهى (المسند برقم (١٧٤٠)، هكذا يلخص لنا جعفر الطيار رضى الله عنه دعوة الاسلام التي تبدأ بالتوحيد ثم ما يترتب عليه من عبادة وسلوك وكذلك يلخص لنا ما كان عليه المشركين من الشرك وما يترتب عليه من شعائر شركية وتصرفات عدوانية

التوحيد أساس كل فضيلة ولجام لكل رذيلة ولكل سلوك آثم وقلب غاشم

معنى ذلك أن هناك تلازماً ضرورياً وحتمياً بين التدين الصحيح والخلق القويم، فالنبي صلى الله عليه وسلم حدد الغاية الأولى من بعثته، والمنهج الأمثل لدعوته، فقال :ما سلف ذكره (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)

وغير هذه الأدلة كثير للمتتبع لنصوص القرآن ، وصحيح السنة ، يجد ذلك التلازم الضروري بين الفهم السليم والخلق القويم.

من أجل هذا كان قول شيخ الاسلام ابن القيم رحمه الله يقول في مدارج السالكين : (الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ. فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ) (مدارج السالكين ج٢ص٢٩٤).

هذا وحاصل ما تقدم فإن الخلق ركن ركين من الدين، وبقدر نقص الأخلاق ينقص الدين، وقد روى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما خطبنا نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له.

فالإيمان أساس كل فضيلة ولجام لكل رذيلة ولكل سلوك آثم وقلب مرباد غاشم فحقيقة الإيمان حين تسيطرعلى الذات ، تضبط العقائد والعبادات والمناهج والشعائر و المعاملات والشهوات فالمؤمنون الصادقون المخلصون حين يتصلون بربهم يجعلونه مقصودهم وهو الاخلاص ويجعلون نبيهم قدوتهم وهو الاتباع ويجعلون الشرع كله دستورهم منهج حياة فعندئذ تكون محاسن الأخلاق .

وهو ماخسره العالم بأثره يوم أن أعرض عن أخلاق المسلمين .

والحمد لله رب العالمين وللبحث صلة إن شاء الله

فقه المرأة المسلمة

الحلقة (٤٣)

فقه المرأة في النكاح

(٣)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما بعد، فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن ولي المرأة في النكاح، وترتيب الأولياء، وولاية الابن في تزويج أمه، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

إعداد: **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

عضل الولي للمرأة:

أولاً: تعريف العضل:

العضل لغة: هو الحبس والمنع، يقال عضل عليه في أمره تعضيلاً أي ضيق عليه وحال بينه وبين ما يريد. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٤١٥/٢).

العضل شرعًا:

عرفه الحنفية بأنه: منع الحرة البالغة من الإنكاح بكفء طلبته. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢٤٨/٢).

عرفه المالكية بأنه: منع الأب ابنته من النكاح لا لمصلحتها بل لإضرارها. منح الجليل شرح مختصر خليل (٢٨٣/٣).

عرفه الشافعية بأنه: أن تدعو البالغة العاقلة إلى تزويجها بكفء فيمتنع الولي. روضة الطالبين وعمدة المفتين (٥٨/٧).

عرفه الحنابلة بأنه: منع المرأة من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك ورغب كل واحد منهما في صاحبه. المغني لابن قدامة (٣١/٧).

ثانيًا: حكم عضل الولي للمرأة:

اتفق الفقهاء على أن عضل المرأة حرام.

واستدلوا على ذلك بالكتاب والسنة:

(أ) من الكتاب: قوله تعالى: «فَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (البقرة: ٢٣٢).

وقد أخرج البخاري في صحيحه أن سبب نزول هذه الآية ما روي عن مَعْقِل بْنُ يَسَار، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ. قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى

إذا انْقَضَتْ عدَّتُها جاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَفرشْتُكَ وأكرمْتُك، فطلَّقتها، ثُمَّ جئْتَ تَخْطُبُهَا، لا واللهِ لا تعُودُ إليْكَ أبدًا، وكانَ رَجُلاً لا بَأْسَ بِه، وكانَت المرْأَة تُريدُ أنْ تَرْجعَ إليْه، فأنْزَلَ اللهُ هذه الآيةَ: «فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ» (البقرة: ٢٣٢)، فَقُلْتُ: الآنَ أفعلُ يا رَسُولَ الله، قال: «فَزَوِّجها إيَّاهُ». صحيح البخاري (٥٣٣١).

(ب) من السنة:

١- عَنْ أبي ذَرٌ، عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، فيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تبارَكَ وَتَعالَى أنَّهُ قَالَ: «يا عبَادي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلاَ تَظَالَمُوا. صحيح مسلم (٢٥٧٧).

قال النووي: أي لا تتظالموا، والمراد لا يظلم بعضكم بعضا، وهذا توكيد لقوله تعالى: وجعلته بينكم محرمًا. شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٣٢).

ولا شك أن العضل نوع من أنواع الظلم، وقد حرم الله تعالى الظلم على نفسه وعلى عباده، والولاية في النكاح ولاية نظر واحسان لا ولاية قهر واستبداد.

٢- قوله صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار". أخرجه الحاكم في المستدرك، (٢٣٤٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، (١١٣٨٤)، والدارقطني في سننه، (٤٥٤١) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه. اهـ.

قال ابن رجب: الضَّرر هو الاسم، والضِّرار: الفعل، فالمعنى أنَّ الضَّرر نفسه منتف في الشَّرع، وإدخال الضَّرر بغير حقٍّ كذلك. وقيل: الضَّرر: أنْ يُدخل على غيره ضررا بما ينتفع هو به، والضِّرار: أن يُدخل على غيره ضرراً بما لا منفعة له به،... وقيل: الضَّرر: أنْ يضرَّ بمن لا يضره، والضِّرار: أن يضرَّ بمن قد أضرَّ به وبكلِّ حال فالنَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إنّما نفى الضرر والضِّرار بغير حق. جامع العلوم والحكم (٣/٩١١).

والعضل نوع من الإضرار بالمرأة، فهو حرام لما فيه من إلحاق الضرر بالغير.

جاء في بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٣/٤٢): واتفقوا على أنه ليس للولي أن يعضل وليته إذا دعت إلى كفء، وبصداق مثلها، وأنها ترفع أمرها إلى السلطان فيزوجها، ما عدا الأب فإنه اختلف فيه المذهب.

جاء في الحاوي الكبير (٩/٣٧): قال الشافعي رحمه الله تعالى: فدل كتاب الله عز وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام على أن حقا على الأولياء أن يزوجوا الحرائر البوالغ إذا أردن النكاح ودعون إلى رضا قال الله تعالى: «فلاَ تَعْضُلوهُنَّ أَنْ يَنْكحْنَ أزْوَاجَهُنَّ إذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بالْمَعْرُوف»... ووجوبه على الأولياء معتبر بخمس شرائط، وهو أن تكون حرة بالغة عاقلة تدعو إلى كفء عن تراض فيلزمه إنكاحها ولا يسوغ له منعها.

ثالثًا: أثر عضل الولي للمرأة:

إذا تحقق العضل من الولي وامتنع من تزويج المرأة انتقلت الولاية عنه إلى غيره، واختلف الفقهاء فيمن تنتقل إليه الولاية هل هو الولي الأبعد أم الحاكم؛ على قولين:

القول الأول: إذا امتنع الولي الأقرب انتقلت الولاية إلى الأبعد، فإن امتنع الأبعد انتقلت الولاية للحاكم. والي هذا القول ذهب الحنفية والشافعية في قول والحنابلة في قول.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١. عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيُّمَا امْرَأَة نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنكَاحُهَا بَاطلٌ فَنكَاحُهَا بَاطلٌ فَنكَاحُهَا بَاطلٌ فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ منْ فَرْجهَا فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لا وَلِيَّ لَهُ». رواه الترمذي في سننه (١١٠٢) وأبو داود في سننه (٢٠٨٣) والإمام أحمد في مسنده (٢٤٢٠٥) وابن حبان في صحيحه (٤٠٦٢) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٨١٧).

٢- قياس ولاية العضل على ولاية شارب الخمر، بجامع أن كلاً منهما فاسق تسقط ولايته، فكما أن شارب الخمر تنقل ولايته للولي الأبعد فكذا ولاية الولي العاضل. المغني لابن قدامة (٧/٣٠):

٣- قياس العاضل على المجنون بجامع أن كلاً منهما يتعذر حصول النكاح من جهته، فكما أن المجنون تنتقل ولايته للولي الأبعد فكذا

الولي العاضل. المغني لابن قدامة (٧/ ٣٠):

القول الثاني: إن امتنع الولي الأقرب انتقلت الولاية للسلطان ولا تنتقل للولي الأبعد. وإليه ذهب الحنفية والمالكية والشافعية في قول والإمام أحمد في رواية.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ». تقدم تخريجه.

٢- أن عضل الولي بلا مبرر شرعي يعتبر ظلمًا، وولاية رفع المظالم عن الناس إلى السلطان. المبدع في شرح المقنع (٦/ ١١١).

٣- قياس النكاح على الدين الذي على الولي للمرأة بجامع أن كلاً منهما حق للمرأة على وليها، فكما أن الحاكم له أن ينتزع الدين من الولي لصالح المرأة. فكذا يحق للحاكم أن يلي أمر تزويج المرأة المتعذر نكاحها من جهة وليها. المغني لابن قدامة (٧/ ٣٠):

وهذه أقوال العلماء في المسألة:

جاء في تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٥/ ٢٢٠): "فإذا طلب من الأب، وأبى صار الأب عاضلاً له فانتقلت الولاية إلى القاضي كالولي في باب النكاح إذا عضل انتقلت الولاية بسبب العضل إلى القاضي؛ لأن الإنكاح من الكفء حق المرأة قبل الولي فإذا امتنع الولي من الإيفاء انتقلت الولاية إلى القاضي".

جاء في بداية المجتهد ونهاية المقتصد (٣/ ٤٢): "واتفقوا على أنه ليس للولي أن يعضل وليته إذا دعت إلى كفء، وبصداق مثلها، وأنها ترفع أمرها إلى السلطان فيزوجها".

جاء في روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧/ ٦٥): "إذا قلنا: الفاسق لا يلي، فالولاية للأبعد على الصحيح، وبه قطع الجمهور. وحكى الحناطي وجها: أنها للسلطان. ثم الفسق إنما يتحقق بارتكاب كبيرة، أو إصرار على صغيرة، وليس العضل من الكبائر، وإنما يفسق به إذا عضل مرات، أقلها فيما حكى بعضهم. ثلاث، وحينئذ فالولاية للأبعد".

جاء في المغني لابن قدامة (٧/ ٣٠): "إذا عضلها وليها الأقرب، انتقلت الولاية إلى الأبعد. نص عليه أحمد وعنه رواية أخرى، تنتقل إلى السلطان. وهو اختيار أبي بكر وذكر ذلك عن عثمان بن عفان. رضي الله عنه. وشريح وبه قال الشافعي لقول النبي. صلى الله عليه وسلم-: «فإن اشتجروا، فالسلطان ولي من لا ولي له». ولأن ذلك حق عليه امتنع من أدائه، فقام الحاكم مقامه، كما لو كان عليه دين فامتنع من قضائه. ولنا، أنه تعذر التزويج من جهة الأقرب، فملكه الأبعد، كما لو جن. ولأنه يفسق بالعضل، فتنتقل الولاية عنه، كما لو شرب الخمر. فإن عضل الأولياء كلهم زوج الحاكم. والحديث حجة لنا؛ لقوله: «السلطان ولي من لا ولي له». وهذه لها ولي. ويمكن حمله على ما إذا عضل الكل؛ لأن قوله: (فإن اشتجروا) ضمير جمع يتناول الكل. والولاية تخالف الدين من وجوه ثلاثة؛ أحدها، أنها حق للولي، والدين حق عليه. الثاني، أن الدين لا ينتقل عنه، والولاية تنتقل لعارض؛ من جنون الولي. أو فسقه أو موته. الثالث، أن الدين لا يعتبر في بقائه العدالة، والولاية يعتبر لها ذلك، وقد زالت العدالة بما ذكرنا. فإن قيل: فلو زالت ولايته لما صح منه التزويج إذا أجاب إليه، قلنا: فسقه بامتناعه، فإذا أجاب فقد نزع عن المعصية، وراجع الحق، فزال فسقه، فلذلك صح تزويجه. والله أعلم".

تعقيب وترجيح

بعد عرض أقوال الفقهاء وأدلتهم أرى-والله تعالى أعلم- رجحان ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أن الولاية تنقل إلى الولي الأبعد؛ لأنه لا موجب للعدول عنه إلى السلطان، ولأن القرابة مهما بعدت فهي داعية إلى الشفقة والنظر، وهي أقوى من شفقة السلطان؛ لأن شفقته بالولاية العامة وشفقة الولي بالقرابة، إلا إذا امتنع جميع الأولياء فتنتقل إلى الحاكم.

والحمد لله رب العالمين.

شهر شعبان..

أحكام وآداب وخصائص

«ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ» (سبأ: ١)، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومَن سلك سبيلَه واهتدى بهديه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد: فإن من القواعد المتقررة كونًا وشرعًا: أن الله تعالى يصطفي من خلقه ما يشاء من: الذوات، والأزمان، والأماكن فيجعل لها مزيد فضل وخصيصة شرف يخصها بها عما يشاركها في أصل الخلقة «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ» (القصص: ٦٨)، وهذا أمر لا يعرف إلا من جهة الشرع، فلا تفضيل ولا تخصيص لشيء من ذلك إلا ما جاء الإخبار عنه من جهة الشرع.

إعداد **د. محمد عبد العزيز**

ومن القواعد الشرعية المتقررة: أن تخصيص زمان من الأزمان أو مكان من الأماكن بإيقاع عبادة من العبادات أو ترك من التروك إنما يكون من جهة الشرع وحده، فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدَثَ في أمرنا هذا مَا ليسَ منه، فهو رَدٌّ» وفي لفظ: «مَنْ عَمِلَ عَملًا ليس عليه أمرُنا، فهو ردٌّ». (أَخرجه البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨).

فكل تخصيص لزمان أو مكان بطاعة من الطاعات بغير طريق الشرع فهو محدث لا يجوز الإقدام عليه، لحديث العرباض بن سارية - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». (أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٨٧٠) (٢٨٧١)، وقال: حديث حسن صحيح).

ومن القواعد المتقررة في فطرة الناس وخلقتهم: أن النفوس تُقبِل على الطاعات وتجدُ نشاطًا

عليها في الأزمان والأماكن الفاضلة أكثر من غيرها، كما أنها تجد نشاطا على بعض الطاعات أكثر من غيرها بحسب المدح والحث الذي ورد فيها في الشرع.

تخصيص زمان من الأزمان أو مكان من الأماكن بإيقاع عبادة من العبادات أو ترك من التروك إنما يكون من جهة الشرع وحده

فهذه ثلاث من القواعد المهمة قدمت بها بين يدي هذه المقالة لأهميتها في هذا السياق، فإذا تقرر هذا فإن شهر شعبان من الأشهر التي خصصها النبي صلى الله عليه وسلم بمزيد طاعة، وخصصها بإيقاع عبادة مخصوصة فيها:

١ - فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم. وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان. وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان» (أخرجه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦)).

٢ - وعن عائشة رضي الله عنها حدثته قالت: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرًا أكثر من شعبان فإنه كان يصوم شعبان كله. وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا. وأحب الصلاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما دووم عليه وإن قَلَّتْ. وكان إذا صلى صلاة داوم عليها». (أخرجه البخاري (١٩٧٠)، ومسلم (١١٥٦)).

٣ - وعن أم سلمة قالت: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين إلا شعبان ورمضان» (أخرجه أبو داود (٢٣٣٦)، والترمذي (٧٣٦)، والنسائي (٢١٧٥)، (٢٣٥٢)، (٢٣٥٣)، وقال الترمذي: حديث أم سلمة حديث حسن»).

فهذه النصوص وغيرها من السنة الفعلية تدل على:

أ - مشروعية تخصيص شهر شعبان بالصيام فيه.

ب - سُنية صيام شهر شعبان كله كما جاء في حديثي أم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنهما - وأمهات المؤمنين كن يطلعن من عبادته صلى الله عليه وسلم على ما لا يطلع عليه غيرهن.

وقد اتفق العلماء على جواز صيام جميع شعبان ووصله برمضان، وقد نقل هذا الاتفاق جمع من أهل العلم منهم ابن العطار (ينظر: تطريز حكم صوم رجب وشعبان، لابن العطار (ص ٥٣)).

ج - اختلف أهل العلم في فهم المراد من قولهن: «يصوم شعبان كله»، «يصوم شهرين متتابعين» على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه على ظاهره من ديمة صيامه صلى الله عليه وسلم للشهرين، فيكون صيام شعبان كله سنة.

الثاني: أنه كان يصوم أغلب الشهر بدلالة قولها: «وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان»، وقد نقل الترمذي عن ابن المبارك قوله في هذا الحديث: «هو جائز في كلام العرب، إذا صام أكثر الشهر أن يقال: صام الشهر كله.

ويقال: قام فلان ليله أجمع، ولعله تعشى واشتغل ببعض أمره.

كأن ابن المبارك قد رأى كلا الحديثين متفقين، يقول: إنما معنى هذا الحديث أنه كان يصوم أكثر الشهر».

الثالث: أنه كان في بعض السنين يصوم شعبان كله حتى يصله برمضان، وفي بعضها يصوم أكثر شعبان، فيكون كلا الفعلين سنة.

والقول الثاني هو أرجى الأقوال بالصواب، لما سبق. (ينظر: الكواكب الدراري، للكرماني (٩ /١٣١،١٣٢)، والتوضيح، لابن الملقن (١٣ /٤٤١)).

لماذا كان يخص النبي صلى الله عليه وسلم شهر شعبان بالصيام؟

خصص النبي صلى الله عليه وسلم شعبان بالصيام لأمرين علل بهما في حديث أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله، لم أرك تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه

بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم». أخرجه النسائي (٢٣٥٧).

الأول: أنه شهر يغفل عنه الناس، فتقع العبادة في وقت غفلة الناس.

الثاني: أنه شهر ترفع فيه أعمال العام على الله.

وقد علل بعض أهل العلم بغير ذلك:

فمنهم من علل ذلك: بفضل رمضان وتعظيمه فجعل صيام شعبان قبل رمضان كفعله صلى الله عليه وسلم صلاة السنن قبل الفرائض تعظيمًا لها، وتعويدًا للنفس على الصيام وإيقاظها، وهو التعليل الثالث، ويشهد لذلك حديث أنس - رضي الله عنه - قال: «سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الصوم أفضل بعد رمضان؟ فقال: شعبان لتعظيم رمضان.

قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: صدقة في رمضان»، لكنه حديث ضعيف لا يثبت أخرجه الترمذي (٦٦٣)، وقال: هذا حديث غريب، وصدقة بن موسى ليس عندهم بذاك القوي.

ويرِدُ على هذا التعليل فرقان:

الفرق الأول: أن السنن الراتبة لا تُصلى إلا بدخول وقت الفريضة؛ لأن وقتها متسع لها ولغيرها من جنسها.

أما شعبان فإنه يُصام قبل دخول وقت صيام رمضان؛ لأنه وقت مضيق منطبق على فعله، لا يتسع لغيره من جنسه.

الفرق الثاني: أن الرواتب قبل الصلوات مرغّب فيها.

أما رمضان فالنهي ثابت عن تقدّمه بصوم يوم أو يومين، بل وجاء النهي عن الصيام إذا انتصف شعبان، ووجه بأن الكراهة تتعلق بمن ليس له عادة في الصيام.

التعليل الرابع: أنه يصومه لتدارك ما فاته من صيام النوافل التي قد يتشاغل عنها في بعض شهور السنة فيجتمع عليه ذلك في شعبان فيتداركه قبل صيام الفرض، وهو وجه حسن أيضًا.

> **اتفق العلماء على جواز صيام جميع شعبان ووصله برمضان**

وأولى ما علل به صيام شعبان ما جاء منصوصًا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو التعليل الأول والثاني.

ليلة النصف من شعبان:

ورد في فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث لا تخلو من مقال فمن أمثلها:

حديث: «إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله لعباده إلا لمشرك أو مشاحن».

وقد جاء من طرق كثيرة عن أبي بكر، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأبي موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل، وعوف بن مالك، وكثير بن مرة الحضرمي - رضي الله عنهم -.

وقد صحح الشيخ الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة (١١٤٤) بمجموع طرقه.

وقد قال ابن رجب في لطائف المعارف (ص ١٣٦): «وفي فضل ليلة نصف شعبان أحاديث أخر متعددة، وقد اختلف فيها:

- فضعّفها الأكثرون.
- وصحح ابن حبان بعضها وخرّجه في صحيحه».

وقال أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن (٤/ ١١٧): «وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يُعوّل عليه، لا في فضلها، ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليها».

وقال في عارضة الأحوذي (٣/ ٢٧٥): «وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سَماعه».

ولم يصحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، ولا يومها بصيام إلا رجلاً كان يصوم صومًا كالأيام القمرية مثلاً فيوافق هذه الليلة فيصومها، أو كان له ورد من قيام فيقوم تلك الليلة لقيامه الليل المرغب فيه طوال العام.

هذا وليس في حديث: «إذا كان ليلة النصف من شعبان يغفر الله لعباده إلا لمشرك أو مشاحن» تخصيص هذه الليلة ولا يومها بإيقاع عبادة لكن فيه عبادتان تركيتان من أعظم العبادات، وهي:

الأولى: السلامة من الشرك بنوعيه الأصغر والأكبر؛

- أما الشرك الأكبر فإنه مُخرج من الملة وصاحبه مخلَّد في نار جهنم، قال تعالى: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة: ٧٢).

- وأما الشرك الأصغر فإنه مُحبط للعمل الذي يدخل عليه.

الثانية: سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وإرادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنهم يقولون: «رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (الحشر: ١٠).

وهاتان العبادتان متأكدتان في كل وقت، وإنما خصتا بالذكر هنا لذكر فضل الله على عباده بمغفرة ذنوبهم، وهما مانعان من موانع المغفرة فنبّه عليهما.

لمحة تاريخية عن أهم التشريعات التي وقعت في شهر شعبان:

١ - تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام ونزول قول الله تعالى: « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ » (البقرة: ١٤٤).

فقد كان المسلمون يستقبلون بيت المقدس ستة عشر شهرًا من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فنزل تحويل القبلة إلى بيت الله الحرام في شعبان في العام الثاني من الهجرة.

فائدة:

ورد بسند ضعيف أن أول من صلى إلى بيت الله الحرام بعد نزول تحويل القبلة: أبو سعيد بن المعلى وصاحب له - رضي الله عنهما - فعن أبي سعيد بن المعلى - رضي الله عنه - قال: «كنا نغدو للسوق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنمر على المسجد فنصلي فيه، فمررنا يومًا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد على المنبر.

فقلت: لقد حدث أمر، فجلست فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: « قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ » (البقرة: ١٤٤) حتى فرغ من الآية.

قلت لصاحبي: تعال نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكون أول من صلى، فتوارينا فصلينا، ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصلى للناس الظهر يومئذ» [أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٩٣٧)، الطبراني في الكبير (٧٧٠)، والبزار - كشف الأستار - (٤١٩).

والحديث فيه: مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلى الأنصاري الزرقي، قال الحافظ في التقريب: ضعيف).

٢ - في شهر شعبان من العام الثاني للهجرة وقع أول نسخ في الشرائع بنسخ استقبال بيت المقدس باستقبال بيت الله الحرام في الصلاة.

٣ - فرض الصيام في شعبان من العام الثاني للهجرة، قال النووي في المجموع (٦ / ٢٥٠):

«صام رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان تسع سنين لأنه فرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة».

٤ - فرض زكاة الفطر في شعبان من العام الثاني للهجرة، قال ابن كثير في الفصول في السيرة (ص: ١٢٧): «وفي شعبان فُرِض صومُ رمضان، وفرضت لأجله زكاة الفطر قُبَيله بيوم».

٥ - النهي عن صيام يوم الشك، وهو: يوم الثلاثين من شهر شعبان إذا لم يثبت ثبوتًا شرعيًا أنه من رمضان، وسمي بذلك لأن الناس يشكون أنه مكمل لشهر شعبان أو هو غرة شهر رمضان.

عن صلة بن زُفَر: قال: «كنا عند عمار بن ياسر، فأُتِيَ بشاة مَصْلِيَّة فقال: كلوا، فتنحَّى بعض القوم، فقال: إنِّي صائمٌ. فقال عمَّار: من صامَ اليومَ الذي يُشكُّ به النَّاسُ، فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم» [أخرجه أبو داود (٢٣٣٤)، والترمذي (٦٨٦)، والنسائي (١٥٣/٤)، وابن ماجه (١٦٤٥)، وقال الترمذي: حسن صحيح).

هذا ما يسَّره الله تعالى في هذا المحل، والحمد لله رب العالمين.

معالم منهج السلف وضوابطه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله وصحبه والتابعين. أما بعد، فإن منهج السلف الصالح هو المنهج الحق للإسلام عقيدةً وعملاً وأخلاقًا، وهو أسلم المناهج وأصفاها، وأعلمها وأحكمها، وأسلمها على الإطلاق، وهو بذلك يمثل الخط المستقيم والامتداد الطبيعي الأصيل لما كان عليه المسلمون الأوائل الذين فارقهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ.

ولا سبيل لنهضة الأمة واستعادة مجدها وعزها من جديد إلا بالاعتصام بهذا المنهج الكريم فهو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، قال تعالى: «وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ» (آل عمران ١٠١).

وفي هذا المقال نتناول الحديث عن منهج السلف تعريفًا ونشأة وتاريخًا، مع بيان جملة من معالمه وضوابطه المهمة فنقول وبالله التوفيق:

إعداد: معاوية محمد هيكل

منْ هم السلف الصالح:

السَّلفُ الصالحُ هم الصدرُ الأول، الراسخون في العلم، المُهتَدون بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، الحافظون لسُنَّته، مُقدَّمُهم صحابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم أجمعين، اختارهم الله لصُحبة نبيِّهم، وانتخبَهم لإقامة دينه، ورضِيَهم أئمةَ للأمة.

وقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه بقوله: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا» (الفتح ٢٩).

وهذا وصف كريم منِ العزيز الرحيم للصحابة بأكمل الصفات وأجلِ الأحوال فهم مجتهدون في نصرة دين الله عز وجل وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلذلك ذلَّ أعداؤهم لهم. وهم كذلك متحابون متراحمون كالجسد الواحد. كما مدحهم ربهم ظاهراً فقال: «تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا»،

ومدحهم باطنا فقال: «يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّه وَرِضْوَانًا»، ومدحهم قبل أن يخلقوا فقال: «ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ».

وهذه أيضا صفة للطائفة المنصورة أهل الحديث الذين اقتفوا أثر جيل القدوة الأول محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم.

قال ابن كثير- رحمه الله-: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة رضي الله عنهم- قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم- فهو كافر لهذه الآية ووافقه طائفة من العلماء رضي الله عنهم- على ذلك» (تفسير ابن كثير ٤/ ٢١٩).

وقال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (التوبة ١٠٠).

فذكر تعالى المهاجرين والأنصار ثم مدح أتباعهم، ورضي ذلك من الذين جاؤوا من بعدهم. وتوعد بالعذاب من خالفهم واتبع غير سبيلهم، فقال سبحانه: «وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (النساء: ١١٥).

فيجب اتباعهم فيما نقلوه، واقتفاء أثرهم فيما عملوه، والاستغفار لهم قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» (الحشر ١٠).

«فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة» (تفسير القرطبي ١٦/ ٢٧٢).

المراد بمنهج السلف:

هو الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعون ومن تبعهم بإحسان من التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم السلف الصالح، والمراد بهم: الصحابة والتابعون وأتباعهم من أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين اتفقت الأمة على إمامتهم وعدالتهم، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول كالأئمة الأربعة، والليث بن سعد، والسفيانين، وإبراهيم النخعي، والبخاري، ومسلم وغيرهم، دون أهل الأهواء والبدع ممن رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج والروافض والمعتزلة والجبرية وسائر الفرق الضالة.

وهي بهذا الإطلاق تعد منهاجا باقيا إلى قيام الساعة، ويصح الانتساب إليه إذا ما التزمت شروطه وقواعده، فالسلفيون هم السائرون على نهجهم المقتفون أثرهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، سواء كانوا فقهاء أو محدثين أو مفسرين أو غيرهم، ما دام أنهم قد التزموا بما كان عليه سلفهم من الاعتقاد الصحيح بالنص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة والتمسك بموجبها من الأقوال والأعمال لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» (أخرجه مسلم في «الإمارة» (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه).

وهذا المنهج الرباني المتكامل هو الإسلام المصفى، والطريق القويم القاصد الموصل إلى الله، به بعث الله رسله وأنزل به كتبه، وهو الطريق البينة معالمه، المعصومة أصوله، المأمونة عواقبه.

نشأة مذهب «السلف»:

مذهب السلف أصيل في نشأته، ضارب جذوره في أغوار الماضي إلى الحقبة النبوية المباركة حيث الجماعة الإسلامية الأولى التي وضع لبنتها وأرسى قواعدها النبي صلى الله عليه وسلم، وأما مصطلح السلف فقد ظهر واشتهر حين ظهر النزاع ودار حول أصول الدين بين الفرق الكلامية وحاول الجميع الانتساب إلى السلف، وأعلن أن ما هو عليه هو ما كان عليه السلف الصالح، فإذا لابد أن تظهر والحالة هذه أسس وقواعد واضحة المعالم وثابتة للاتجاه السلفي حتى لا يلتبس الأمر على كل من يريد الاقتداء بهم.

قال الشيخ بكر أبو زيد-رحمه الله-: «وقد كان المسلمون الأوائل وهم الصحابة رضي الله عنهم قبل بزوغ بذرة التفرق والانشقاق ليس لهم اسم

يتميزون به؛ لأنهم يمثلون الإسلام والامتداد الطبيعي له لكن لما حصلت تلك الفرق الضالة التي يشملها لفظ: أهل الأهواء لغلبة اتباع الهوى عليهم، ولفظ أهل البدع لاتباعهم ما هو خارج عن الدين أجنبي عنه، وأهل الشبهات لأنهم يلبسون الحق بالباطل فيشبهون به على العامة لبناء خروجهم عن السنة على مرض الشبهة الفاسدة... لما حصلت تلك الفرق منتسبة إلى الإسلام منشقة عن العمود الفقري للمسلمين ظهرت ألقابهم الشرعية المميزة لجماعة المسلمين لنفي الفرق والأهواء عنهم سواء ما كان من الأسماء ثابتًا لهم بأصل الشرع: الجماعة-جماعة المسلمين- الفرقة الناجية-الطائفة المنصورة، أو بواسطة، التزامهم بالسنن أمام أهل البدع ولهذا حصل لهم بالصدر الأول فقيل لهم: السلف- أهل الحديث-أهل الأثر- أهل السنة، وهذه الألقاب الشرعية تخالف أي لقب كان لأي لقب كان لأي فرقة كانت» (حكم الانتماء: ص٤٠-٤١).

أوصاف الفرقة الناجية:

قال رسول صلى اللّٰه عليه وسلم مخبرًا عن افتراقِ الأمة ومُبيّنا أوصاف الفرقة الناجية: «تَفْتَرِقُ هذه الأمَّةُ على ثَلاثٍ وسَبْعينَ فِرْقَةً، كلُّهُمْ في النَّار إلَّا واحدَةً»، قَالُوا: «وَمَا تِلْكَ الْفِرْقَةُ؟» قَالَ: «ما أنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي» (السلسلة الصحيحة: رقم ٢٠٣)، فكان جوابه صلى اللّٰه عليه وسلم منصبًا على تعيين «الوصف» دون الموصوف، ذلك الوصف الذي يُفصح عن دلالة واضحة في أنَّ النجاة إنما تعمُّ كلَّ من اتَّصف بأوصاف «الفرقة الناجية» إلى قيام الساعة، وليست قاصرةَ الاختصاص بمن تقدَّم، بدليل قوله صلى اللّٰه عليه وسلم: «لا يَزالُ مِنْ أمَّتي أمَّةٌ قائمَةٌ بأمْرِ اللّٰه، لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خالَفَهُمْ حَتَّى يأتيَهُمْ أمْرُ اللّٰه وهُمْ على ذلكَ» (رواه البخاريُّ ٣٦٤١، ومسلمٌ ١٠٣٧).

ومنه يتبيَّن بوضوح أنَّ كلَّ متأخِّر عن الحقبة الزمنية التاريخيةَ المختصَّة بأهل القرون المفضَّلة، الواردة في قوله صلَّى اللّٰه عليه وسلَّم: «خَيْرُ النَّاس قَرْني، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذينَ يَلُونَهُمْ» (رواه البخاري ٢٦٥٢، ومسلم ٢٥٣٣). وهي زمن السلف الصالح، والتزم مذهبهم ومنهجهم في الاعتقاد والعمل الفقهيّ يكون «سلفيًا» ويُطلَق عليه هذه التسميةُ لالتزامه باتِّباع السلف الصالح، ويُطلَق عليه: «سنيٌّ من أهل السنَّة والجماعة» لالتزامه بالسنَّة ومجانبته للبدعة، ويُطلَق عليه: «أثريٌّ» أي: من أهل الحديث والأثر لاعتنائه بالحديث النبويِّ روايةً ودرايةً وتطبيقًا وعملاً، وسلوكه لهديه صلى اللّٰه عليه وسلم ظاهرًا وباطنًا واشتغاله بآثار الصحابة رضي اللّٰه عنهم تمييزًا وفهمًا واحتجاجًا، وعلى ذلك فالتسمية «بأهل السنَّة والجماعة» و«الفرقة الناجية» و«الطائفة المنصورة»، و«أهل الحديث والأثر»، و«أنصار السنَّة» و«السلفية»، لا تضاد بينها، بل هي من باب اختلاف التنوُّع والمسمَّى واحدٌ والمعنى أيضًا، وهو التمسُّك بالكتاب والسنَّة وفق فهم سلف الأمة. ولا مُشاحةَ في الاصطلاح.

معالم وضوابط منهجية:

(١) منهجُ السَّلف الصالح ليس حقبةً تاريخيَّةً محدودة، ولا جماعةً مذهبيَّةً محصورة، بل هو منهجٌ مُستمرٌّ لا يتقيَّدُ بزمانٍ، ولا ينحصرُ بمكانٍ. وعلي ذلك، فإن هذا المنهج ليس حزبًا، ولا تيَّارًا، ولا حركةً، وليس تكتُّلاً سياسيًّا، هو منهجٌ لا جماعة. يُوضِّحُ ذلك: أن المُنضوين تحت هذا المنهَج قطاعٌ عريضٌ من المُسلمين شعوبًا وديارًا، بل هم الأصل في عُموم المُسلمين، فالمُسلمُ يتَّبِعُ الدليل ويسيرُ خلفه، ويُعظِّمُ السَّلف الصالحَ، ويُحبُّهم ويقتدي بهم، وكل إمام من أئمة المسلمين يقول: «إذا صحَّ الحديثُ فهو مذهبي» فالسَّلفُ الصالحُ هم الصحابةُ- رضي اللّٰه عنه-، ومن سلك سبيلهم من التابعين وأتباع التابعين من الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابلة، وغيرهم ممن سارَ على الحقِّ، وتمسَّك بالكتاب العزيز والسُّنَّة المُطهَّرة في باب التوحيد وباب الأسماء والصفات، وفي جميع أمور الدين».

(٢) ومن القُصور في النظر والفهم: حصرُ منهج السَّلف الصالح في قضايا مُعيَّنة، أو علم مُعيَّن، أو بلد مُعيَّن، أو فئة مُعيَّنة.

(٣) والسَّلفُ الصالحُ ليس يدَّعي تمثيلَهم أحدٌ، ولا ينطقُ باسمهم عالم، فليس ثمَّة جماعة محصورة تُمثِّل هذا المنهج، وإنما يوجدُ أفرادٌ وجماعاتٌ ينتمون إلى هذا المنهج، وينتسبُون إليه، ويسعون لتحقيق مذهب السَّلف الصالح. إنه منهجٌ ليس محصورًا في انتساب، وعدمُ الانتساب لا ينفي

الانتساب، لأنه منهجٌ ورُؤيةٌ.

(٤) وهذا المنهجُ ليس مسؤولاً عن أخطاء بعض المُنتسبين إليه، وإنما تُنسبُ الأقوالُ والأفعالُ والتصرُّفات إلى أصحابها وجماعاتها لا إلى المنهج.

(٥) منهجُ السَّلف الصالح يعتمدُ النصَّ الشرعيَّ كتابًا وسُنَّة، وفهمَ السَّلف الصالح، وطُرُقَ استدلالهم، ومصدرَ التلقِّي عندهم، وليس ذلك محصورًا في فهم عالم بعينه.

(٦) أُصول منهج السَّلف الصالح ومبادئه لم يُولِّدها فكرٌ بشريٌّ، ولا ظرفٌ تأريخيٌّ، ولا اجتهادُ مُجتهد، بل عمادُه الكتابُ والسُّنَّة.

(٧) أئمةُ أهل العلم وأساطينُه «مُجدِّدون لا مُؤسِّسون»، فأيُّ دعوة تُعظِّمُ النصَّ الشرعيَّ وتصُونُ دلالتَه وتقفُ دون تحريف الغالين، وتأويلات الجاهلين، وانتحالات المبطلين فهي دعوةُ حقٍّ.

(٨) إن مُجرَّد الانتساب إلى منهج السلف لا يكفي لأنَ يكونَ الشخصُ سلفيًّا، وكونُ الشخص لا يتسمَّى بالسَّلفيَّة لا يُخرجُه ذلك عن السَّلفيَّة، لأنَّها ليستْ جماعةً تقتصرُ على أفرادها المُنتسبينَ إليها، يكتفي الشخصُ بمُجرَّد الانتساب إليها، بل هي منهجٌ ورؤيةٌ تقومُ على اقتناع بضرورة معرفة وتطبيق منهج الصحابة، ومَن جاء بعدهم من الأئمَّة والعُلماء الكبار.

(٩) منهج السلف هو الدين بجميع شرائعه في التوحيد والايمان والعبادات والأخلاق والمعاملات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشؤون الحياة كُلِّها، شمولاً يضمُّ الفردَ والمجتمعَ، الحاكمَ والمحكومَ والحُكْمَ، والدُّنيا والآخرة، والمصالحَ العاجلة والآجلة، في رؤية متكاملة لما يُسعدُ المسلمَ في دينه ودُنياه.

(١٠) من معالم منهج السلف تعظيم النصِّ الشرعيِّ وجعله هو الأصل الذي يُعتمد عليه ويُستَهْدى به، ولا يُردُّ أي نصٍّ صحيح لذوقٍ أو هوًى أو معقول، والآراءَ والأفهام تُعرَض على الكتاب والسُّنَّة، فما وافقها قُبل، وما خالفها أُعرِضَ عنه، ونصُّ الشارع هو الأصلُ ويجب أن تنقادُ النفوسُ إليه، وتعتمدُ عليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «والَّذي نفسي بيده، لا يؤمنُ أحدُكُم حتى يكونَ هواهُ تبعًا لما جئتُ به» (صححه أحمد شاكر في عمدة التفسير ١/٥٣٣).

والحُجَّةُ للنصِّ الشرعيْ، وظاهرُ النصِّ يُؤخَذُ به، ويُصارُ إلى التأويل بدليل، وحُجَّةُ النصِّ لا تُردُّ سواء كان النصُّ قطعيا أو ظنيًّا، والالتزامُ بنُصوص الكتاب والسُّنَّة لا يُنكرُ العقل ومنزلته، فبه يُتعرَّفُ على الأحكام الشرعيَّة، وهو مَناطُ التَّكليف وأداةُ الاستنباط. يقول الشاطبيُّ- رحمه الله-: «والعقلُ إذا لم يكن مُتَّبعًا للشرع لم يبقَ إلا الهوى والشهوة» (الاعتصام١/٥١).

وبعد فهذا جزء من الحديث عن معالم المنهج السلفي وضوابطه، ولنا معه تفصيل بإذن الله تعالى في أعداد قادمة إذا شاء ربنا وقدر.

أسأل الله أن يثبتنا وإياكم على هذا المنهج المبارك حتى نلقاه، وأن يعيننا وإياكم على رضاه، والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء الموافق ٣ مارس ٢٠٢١م، فضيلة الشيخ أحمد خليل ، عضو مجلس إدارة الإنشاءات بفرع بنها سابقًا رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ وطلابه ومحبيه.

اللهم اغفر له، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين. اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

الأزهر

حصن الإسلام ودرع الشريعة على مرّ العصور

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

صحيح أن الجامع الأزهر لم يكن الجامع الأقدم بناء في العالم الإسلامي؛ إذ يمكن إدراك تفوق جامع القرويين بفاس المغربية عليه في هذه الخاصية دون نظر، وصحيح كذلك أن الأزهر لم يكن له تلك المكانة العلمية وذاك الإشعاع العلمي منذ تشييده، فالتاريخ يشهد على أنه في أحد أطواره لم يكن حتى من المساجد الجامعة فضلاً عن أن يكون حاضنة علمية؛ حيث مُنِعَت صلاة الجمعة فيه. لكن الجامع الأزهر ينفرد بخصائص لم تكن لغيره، ويتفوق في أخرى على غيره. أبرزها البُعد السياسي والحضاري الذي حظي به كجامعة دينية وتعليمية ودعوية تملكها الأمة الإسلامية وقفت سدًّا منيعًا أمام حملات التغريب الخبيثة وتيارات الإلحاد المدمرة، وحافظت على الهوية الإسلامية، وتخريج ثُلَّة من العلماء والفقهاء والمفكرين والمجاهدين الذين كان لهم دور كبير في تحريك جموع الناس والتأثير في الحياة العامة في كل المجالات.

كما يبقى للأزهر مكانته الرمزية التي لا تخفى في مصر والعالم الإسلامي؛ بسبب الذاكرة الأزهرية الخالدة؛ فإن الميراث التاريخي الطويل الذي حظي به الأزهر كان عنصرًا أصيلاً في كونه صرحًا من صروح الإسلام له في نفوس المسلمين هالات الإعزاز والتقدير والاحترام وهو الأمر الذي اتخذه الأزهريون منطلقًا ما فتئوا يعتصمون بها للتمسك بثوابت الدين ومبادئ رسالة الإسلام الخالدة وأصول الشريعة، وتحقيق مقاصدها، ودراسة علومها، والدفاع عما استقام لهم من سلطة معرفية لا يقبلون أن يمسها أحد طعنًا وانتقاصًا، شكًا وتساؤلاً.

ولستُ أحصي كم مرة قرأت كتابًا سجل فيه تاريخ الأزهر هذه المؤسسة العريقة -التي أربى عمرها على ألف عام في فخر واعتزاز، فإن الجامع الأزهر والجامعة الملحقة به هما شمس العلوم الإسلامية التي تنير العالم كله، شعوبًا ودولاً، شمس يمتد نور علمها من القاهرة شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا ليست هناك بقعة على الأرض إلا وفيها أحد أبناء الأزهر، وكتبه شمسٌ لا ينقطع عطاؤها، ربما يقل في بعض الأحيان، وربما تحاول بعض سحب أن تغطيه، لكن هيهات فشمس الأزهر والإسلام الحنيف أبدًا لا تغيب.

ويكون قلم المدون لتاريخ الأزهر بليل الريق طيع القادة لا يجنح إلى التوقف ولا يعرف التردد في مقام الدفاع عن مكانته ودوره في التصدي للاستبداد بكل صوره وأشكاله عبر العصور القديمة والحديثة وفي توجيه السلوك العام نحو وحي السماء، والحفاظ على الشريعة الإسلامية وتقويم الأخلاق بها في مجابهة من يدعون لأفكار مضادة من العلمانيين بمختلف أطيافهم بهدف منعه من أداء رسالته الدعوية وواجباته العلمية والثقافية المستمدة من مبادئ رسالة الإسلام الخالدة، وكذلك يعملون على اندثار العلوم الشرعية واللغة العربية، وهم يشنون على الأزهر هذه الحرب الشعواء لعدة أسباب نذكر منها:

> **الأزهر مؤسسة عريقة أربى عمرها على ألف عام.**

أولاً: أنهم يتوهمون أن تقليد الغرب في مذاهبه الفلسفية ومناهجه الفكرية ومجاراته في زعمه إبعاد الدين عن شؤون الحكم والسياسة والتعليم والإعلام والثقافة والمجتمع وقصره على أماكن التعبد وسجنه في زنزانته المزركشة البراقة ذات القباب والمآذن الجميلة مع إتاحة الزيارة له لمن كانت الصلاة عليهم كتابًا موقوتًا، سيصل بهم إلى ما انتهت إليه أوروبا من تقدم صناعي وتميز اقتصادي وتفوق عسكري.

وأصبح هذا النهج عند بعض المتلقفين لما ورد في أدبيات المستشرقين المتربصين بالإسلام، وممن سلكوا دربهم كاللبن للرضع من الصعب فطامهم بعد أن شبّوا على حب الرضاعة.. بيد أن هذا التفكير وتلك المناهج الوافدة إلينا والغريبة علينا، أصبحت متخلفة ورجعية وعقيمة لم تعد تنطلي على أولي الألباب وأصحاب البصائر؛ فلم يثبت أبدًا أن الغرب عمل بمبدأ فصل الدين عن ممارساته السياسية في أي حقبة زمانية ماضية أو آنية، بل إن الحقد الدفين والعداء القديم تجاه الإسلام يدفعه دفعًا عاصفًا نحو التآمر عليه والكيد له ولأهله بكل وسيلة ممكنة، فتعصبه الأعمى على أساس دينه الذي يعتنقه تصطبغ به كافة قراراته عند إعلان الحروب، وفي إقرار السلم وابرام المعاهدات واتخاذ المواقف وبناء العلاقات، وبجلاء يظهر خطأ ما عليه هؤلاء فإن الدول الغربية بأكملها تدعم الفاتيكان كدولة ذات سيادة ويمدونها بالمال فهي من أغنى دولهم، وعمادها وقوامها المسيحية الكاثوليكية ونظامها ثيوقراطي.

كما أن الدول الغربية أسهمت إسهاما فعالا في تكوين الكيان الصهيوني لدولته اليهودية ولازالوا يمدونه بالمال والعتاد والعدة لضمان تفوقه على الدول العربية مجتمعة، وما من دولة غربية إلا وفيها الأحزاب الدينية الصريحة مدعومة مكفولة الحرية فلا اعتراض على قيامها وأداء عملها وكذلك الأحزاب اليمينية ذات الخلفية الدينية التي تصل إلى

سدة الحكم بتأييد الشعوب ومباركة مؤسسات الدولة هناك.

هذا هو الغرب ولا زال الرضع من المتلقفين على ما هم عليه لا يغيرون ولا يتغيرون وما هم إلا ما ترى من خلط يسمى علمًا وجرأة على الله ورسوله تكون نقدًا وتحاملاً على الإسلام يصبح رأيًا وتقليدًا للطاعنين في دينا وشريعته يسمونه اجتهادًا، وهدم أحمق يقولون هو البناء وهو التجديد

وهم فئة قليلة العدد عديمة الحجة فاقدة للدليل تتصف بالجهل المركب تعمل على إحياء الوثنيات القديمة ويزعمون أنها الحداثة والتطور، وكان من البديهي أن يكون للأزهر النصيب الأكبر من الهجمة الشرسة الضالة الظالمة التي يشنها هؤلاء على الإسلام عمومًا، وهو أحد أهم قلاع الإسلام وحاضن علومه يتخرج فيه كل عام الآلاف من حراس العقيدة والشريعة وحملة كتاب الله تعالى والدعاة إلى دينه، الذين يعرضون حقائق الإسلام عرضًا جادًا يزيل ما استشكل على أفهام الناس من خلط المفاهيم وغلس الأباطيل .

ثانيًا: إنهم يجهلون مقاصد الشريعة ومبادئ رسالة الإسلام الخالدة ويساوون بجهلهم الإسلام وهو الدين عند الله وبين غيره من الأديان فيما يسمى «رجال الدين» أو «الكهنوت»؛ فيظنون أن الأزهر يمثل رجال الدين كما في المسيحية واليهودية. ومعناه: أن رجال الدين يحتكرون تفسيره وتأويله وحدهم وهم الواسطة الحصرية بين الله وخلقه، والإسلام لا يعرف الكهنوت وليس فيه رجال دين، بل فيه علماء الدين وهم الذين درسوا في علوم الدين وتفقهوا فيه وعرفوا أصوله وقواعده ومصطلحات علومه وبذلوا الجهد في فهمه وتحصيل معارفه ولهم التوقير والاحترام لما يحملوه من العلم والمعرفة والتفقه في أمور الدين والاجتهاد في استنباط أحكامه من كتاب الله تعالى وسُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم وهم ليسوا واسطة بين الله وخلقه، وانما يدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلون بالتي هي أحسن وما هم بمعصومين، يرجون من الله تعالى أن يتقبل أعمالهم ويدعونه أن يتوب عليهم ويغفر لهم ذنوبهم.

الدول الغربية أسهمت إسهاما فعالا في تكوين الكيان الصهيوني لدولته اليهودية

والأزهر يزخر بالعلماء ويفاخر بهم لأنهم يعلمون الدنيا كلها وينشرون النور في شتى ربوع الأرض، ولكن لا يزعمون أنهم يحتكرون العلم كما فعل رجال الدين في أوروبا الذين حرموا القراءة والاطلاع وحيازة الكتب حتى عم الجهل في أوروبا. وباعوا صكوك الغفران بثمن بخس.

أما ما يتعلق بقول بعض المارقين: ليس الإفتاء من حق الأزهر وانه يشبه دور رجال الدين في أوروبا زمن تخلفها. فذلك لجهلهم بضرورة الإفتاء وضوابطه ولو عرفوه وفهموه لعلموا أن إفتاء العلماء هو تبليغ حكم الله للناس وليس احتكار فهم للدين كما يزعمون؛ فالإنسان مُطالب شرعًا بأن تكون تصرفاته موافقة لشريعة الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، مما يتعلق بتصرفه الشخصي، وتعامله مع الآخرين من أفراد وجماعات، وكذا ما يتعلق بعبادته لله تعالى.

فمجال الفتوى يتسع سعة ما يمكن أن يصدر عن البشر من تصرفات، وما يتعرضون له من مواقف. فالدعوة إلى حصر الدين في مجال العلاقة مع الله عمل غير صالح، يرفضه فقهاء المسلمين وعامتهم؛ لأنهم يقرؤون في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما ينظم كل شؤون الدين والحياة في توازن محكم وحكيم.

إن الفتوى هي بيان الحكم الشرعي في الواقع، والحكم الشرعي هو حُكم الله تعالى، وغير الله ليس له حكم على الناس إلا بما أعطاه الله تعالى من سلطات. فقد قال عز وجل: «إن الحكم إلا لله» «سورة يوسف: ٤٠».

وبناء على هذا فإن عمل المفتي هو إظهار أحكام الشريعة الإسلامية من حلال وحرام وبقية الأحكام التكليفية من مكروه، وسنة، ومباح، وكذا الأحكام الوضعية من شرط، ومانع، وبطلان، وصحة للناس كافة بأدلة شرعية وأصول وقواعد ملتزمًا بمصادر التشريع الإسلامي وإمكانيات علمية خاصة. فحق الأزهر في

الإفتاء لأنه معقل علماء دين الإسلام الذين أراد الله بهم خيرًا ففقههم في الدين وقد نذروا أنفسهم لدراسة الشريعة وعلومها واللغة العربية التي أنزل بها القرآن وهي لغة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الحق الذي كفله له الدستور المصري مادته السابعة التي تنص على أن: "الأزهر الشريف هيئة إسلامية علمية مستقلة يختص دون غيره بالقيام على كافة شؤونه، وهو المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشؤون الإسلامية، ويتولى مسؤولية الدعوة ونشر علوم الدين واللغة العربية في مصر والعالم، وتلتزم الدولة بتوفير الاعتمادات المالية الكافية لتحقيق أغراضه. وشيخ الأزهر مستقل غير قابل للعزل وينظم القانون طريقة اختياره من بين أعضاء هيئة كبار العلماء".

فهؤلاء الذين يطالبون بإبعاد الأزهر عن الساحة السياسية والاجتماعية والثقافية بل وحتى الدينية والدعوية، ممن اتبعوا شطحات العقول وحادوا عن قول الحق وشرعة الصدق يخالفون الدستور المصري فيما نص عليه.

ثالثًا: من أهم الأسباب التي تدفع أحلاس الفتنة وذيول الغرب للهجوم على الأزهر وعلومه ومناهجه ورجاله هو الدور الذي يقوم به في مواجهة تيارات الإلحاد المستترة وراء شعارات حرية الرأي والتجديد والحداثة، وأصحاب العقول الماجنة، والأفكار الضالة الهادمة، وحملات التغريب المنظمة المدعومة من جهات تعمل على تشويه صورة الإسلام والطعن في رجالاته الذين بلغوا منزلة الإعزاز والتوقير وحازوا الثقة من جموع المسلمين، ونالوا هالات الإجلال والتكريم كالبخاري ومسلم وغيرهم من الأئمة الأعلام الذين جمعوا الأدلة النقلية من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وسجلوا التطبيقات العملية لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ ففي الإحاطة بأفعال الصحابة يكون الفهم الأمن للنصوص الشرعية من قرآن وسنة؛ فقد طبقوا هذه النصوص عمليًا وواقعيًا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته كان يذكر بعضهم بعضًا بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم دون إفراط أو تفريط.

إن الأزهر يقف سدًا عاليًا منيفًا أمام أعداء الإسلام في القديم والحديث للحفاظ على هذا التراث الإسلامي المجيد الذي سجل تاريخ الإسلام التشريعي والفقهي والعملي لا يقبل أن تطاله يد العبث والتخريب التي تمسك بمعول الهدم والتشويه والتحريف والتبديل لطمس الهوية الإسلامية ليصبح المسلم صورة ممسوخة لا تدل على شيء، ينبري الأزهر في كل مرة لمواجهة هذه الشرذمة من الناس فيؤرق مضاجعهم وتعود عليهم أعمالهم بالخسران دون أن يحققوا مآربهم الخبيثة ومقاصدهم الدنيئة وغايتهم الفاسدة. هذه هي بعض الأسباب التي نراها وراء حملة التشويه لدور الأزهر الإيجابي في الحياة العامة والدافع خلف المحاولات المستميتة لمنعه من مواصلة جهاده في تبصير البشرية بدينها وواجباتها نحو ربها وخالقها.

وهو إلى جوار ذلك كله منتدى لأعلام الدعوة وشيوخ العلم وأقطاب الفكر والثقافة الإسلامية فمن هيئاته الرئيسة مجمع البحوث الإسلامية، وهيئة كبار العلماء، والمجلس الأعلى للأزهر إلى جانب جامعة الأزهر التي تضم أكثر من خمسين كلية تستوعب الآلاف من الطلاب وشبكة واسعة من المعاهد الأزهرية، يبلغ عددها الآلاف، وتغطي مختلف أنحاء مصر والعالم، وللأزهر حضور واسع في عدد كبير من دول العالم في آسيا وافريقيا وأوروبا والأمريكتين وأستراليا من خلال المئات من المبعوثين من الوعاظ والأئمة والمدرسين وخريجي الأزهر من أبناء تلك البلاد الذين ينقلون تعاليم الإسلام وأحكامه إلى العالم وينشرون العلوم الإسلامية والعربية على نطاق واسع.

والأزهر اليوم قلعة متقدمة للدفاع عن مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة والوعي الإسلامي المستنير والوقوف أمام الظلم الاجتماعي بأنواعه المختلفة، كما يقوم الأزهر الشريف بدور بالغ الأهمية في مقاومة الأفكار المضللة، ويستمد الأزهر قيمته العليا والمتميزة من العقيدة الصحيحة التي يدين بها وينشرها ويعلمها للأجيال في داخل مصر وخارجها وهي عقيدة أهل السنة والجماعة.

والله المستعان.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

الله هو المتصرف في العالم ولا أحد غيره

قال الله تعالى: "إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" (يونس: 3).

من فضائل شهر شعبان

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: يا رسولَ اللهِ! لَمْ أَرَكَ تَصومُ شَهْرًا منَ الشُّهورِ ما تَصومُ من شعبانَ؟ قالَ: "ذلِكَ شَهْرٌ يَغفُلُ النَّاسُ عنهُ بينَ رجبٍ ورمضانَ، وَهوَ شَهْرٌ تُرفَعُ فيهِ الأعمالُ إلى ربِّ العالمينَ، فأحبُّ أن يُرفَعَ عملي وأنا صائمٌ" (صحيح النسائي ٢٣٥٦).

من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

برء عينْ عليٍّ رضي الله عنه

عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: أينَ عليٌّ؟. فقيل: يَشْتَكي عَيْنَيْهِ، فأمرَ، فدُعِيَ له، فَبَصَقَ في عَيْنَيْهِ، فَبَرأَ مكانَهُ حتَّى كأنَّهُ لَمْ يَكُنْ به شيءٌ" (صحيح البخاري ٢٩٤٢).

حكم ومواعظ

عن همام بن يحيى قال: "بَكى عامرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ في مَرَضِهِ الَّذي ماتَ فيهِ بُكاءً شَديدًا، فَقيلَ لَهُ: ما يُبْكيكَ يا أبا عَبْدِ اللهِ؟ قالَ: "آيَةٌ في كتابِ اللهِ: «إنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ منَ المُتَّقِينَ» (المائدة ٢٧). (كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا ١/١٤١).

من حكمة الشعر

في إكرام الجيران والضيافة

أيا بنت عبد الله وابنة مالك ... ويا بنت ذي البردين والفرس الورد
إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له ...... أكيلاً فإني لست آكله وحدي
أخًا طارقًا أو جار بيت: فإنني ..أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
(عيون الأخبار)

إعداد : علاء خضر

من غريب الحديث

«نهى أن يقعي الرجل في الصلاة»

الإقعاء: أن يلصق الرجل أليتيه بالأرض، وينصب ساقيه وفخذيه، ويضع يديه على الأرض كما يقعي الكلب. وقيل: هو أن يضع أليتيه على عقبيه بين السجدتين. والقول الأول.

(النهاية في غريب الأثر والحديث)

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان

عن أم المؤمنين عائشة رَضيَ اللهُ عَنها قالَتْ: لَمْ أرَ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم صائمًا من شَهْرٍ قَطُّ، أكْثرَ من صيامه من شَعْبان، كانَ يَصُومُ شَعْبانَ كلَّهُ، كانَ يَصُومُ شَعْبانَ إلا قَليلاً.

(صحيح مسلم ١١٥٦).

من جوامع الدعاء

عن أنس رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أنْ يَقُولَ: «يا مُقلِّبَ القُلوبِ ثبِّتْ قَلْبي عَلى دينِكَ» فقُلْتُ: يا نبيَّ الله آمَنَّا بكَ وبما جِئْتَ بهِ فهَلْ تخافُ علَيْنا؟ قالَ: «نَعَمْ إنَّ القُلوبَ بيْنَ أصْبُعَيْنِ من أصابع الله يُقلِّبُها كيْفَ يشاءُ». (صحيح ابن ماجه: ٣٨٣٤).

من أقوال السلف

قال العباس بن غالب: قلت لأحمد بن حنبل رحمه الله: يا أبا عبد الله أكون في المجلس لَيْسَ فيهِ من يعرف السَنة غَيْري فيتكلم فيهِ مُبْتَدع أرد عَلَيْهِ؟ فَقالَ: لا تنصر نَفسك بِهذا النَّصْر بِالسُّنَّة، ولا تخاصم. فَأعَدْتُ عَلَيْهِ القَوْلَ. فَقالَ: ما أراك إلا مخاصمًا.

(رسالة السجزي ١/٣٦٦).

من فضائل الصحابة:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نعْمَ الرَّجُلُ أبو بكرٍ، نعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ، نعْمَ الرجلُ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجرَاحِ، نعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، نعْمَ الرَّجُلُ ثابِتُ بنُ قَيْسِ بنِ شمَّاسٍ، نعْمَ الرَّجُلُ مُعاذُ بنُ جبَلٍ، نعْمَ الرَّجُلُ مُعاذُ بنُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ"

(أخرجه الترمذي (٣٧٩٥) وصححه الألباني)

أثر السياق في فهم النص (١٣٢)

٤٢ حجاب المرأة المسلمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد: فما زال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السُّنَّة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، ووصلت في أدلة السنة إلى الحديث الحادي والعشرين، وهو حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ، وهو عروسٌ بصفيةَ بنتَ حُيَيٍّ، جِئْنَ نساءُ الأنصار فأخبَرْنَ عنها، قالت: فتنَكَّرتُ، وتَنَقَّبْتُ، فذهبتُ، فنظرَ رسولُ الله ﷺ إلى عيني فعرفَني، قالت: فالتفتُ فأسرعْتُ المَشْيَ، فأدركَني فاحتضَنَني، فقال: كيف رأيتِ؟ قالت. قلتُ: أرسلْ يهوديَّةَ وسْطَ يهوديات. (سنن ابن ماجه وغيره).

إعداد د. متولي البراجيلي

القرائن حول الحديث:

١- سند الحديث: ذكرت أن الحديث عند ابن ماجه فيه ثلاث رواة ضعفاء، وقد ضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة انظر ح٧١٠).

٢- وأخرج الحديث ابن سعد في الطبقات، وسنده ضعيف لانقطاع بين عبد الرحمن بن أبي الرجال وعبدالله ابن عمر رضي الله عنهما (انظر الطبقات ١٢٥/٨)، وقد ضعَّف الحديث الألباني: الضعيفة ٩٦١/١٢، سنن ابن ماجه ح ١٩٨٠، وكذلك ضعفه الأرناؤوط في سنن ابن ماجه).

وقوَّى التويجري الحديث بالشاهد المرسل عن عطاء، واستدل به على النقاب فقال:... تستر نساء الصحابة عن الرجال الأجانب وتغطيتهن وجوههن عنهم، ولهذا لما جاءت عائشة رضي الله عنها تنظر إلى صفية، جاءت في صورة امرأة أجنبية لتخفي نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم، فعرفها النبي صلى الله عليه وسلم بعينها... ولم ينكر عليها تغطية وجهها والتزين بزي المرأة الأجنبية (انظر الصارم المشهور صـ ٨٩). والحديث كما سبق ضعيف لا يصلح للاحتجاج به، والمتن يتعلق

بأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-.

الحديث الثاني والعشرون:

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قَبَرْنا مع رسول الله ﷺ يومًا فلمّا فرغْنا انصرف رسول الله ﷺ وانصرفْنا معه فلمّا حاذى بابه وتوسّط الطريق إذا نحنُ بامرأة مُقبلة فلمّا دنَتْ إذا هي فاطمةُ فقال لها رسولُ الله ﷺ ما أخرجكِ يا فاطمةُ من بيتك قالت: أتيْتُ يا رسول الله أهل هذا البيت فعزّيْنا ميّتهم فقال لها رسول الله ﷺ: (لعلّكِ بلغْتِ معهم الكُدى؟) قالت: معاذَ الله وقد سمعْتُك تذكُرُ فيها ما تذكُرُ قال: (لو بلغْتِ معهم الكُدى ما رأيْتِ الجنّةَ حتّى يراها أبو أبيك) (سنن أبي داود والنسائي ومسند أحمد وغيرهم).

القرائن حول الحديث:

١- السند مداره على ربيعة بن سيف المعافري: ابن ماتع، وقد تفرّد برواية هذا الحديث، وحاله لا يحتمل تفرده. فالحديث ضعيف، وقد ضعّفه النسائي في السنن ح ١٨٨٠هـ، والأرناؤوط في المسند ح٦٥٧٤، والألباني في التعليقات الحسان ح ٣١٦٧، وسنن أبي داود ح ٥٦٠، وفي الضعيفة ١٣١/١٤. قال هو منكر جدًا عندي.

٢- لو صح الحديث فإن الاستدلال به يكون على مشروعية النقاب وليس على وجوبه، ومشروعية النقاب ليست محلاً للخلاف.

الحديث الثالث والعشرون:

عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن أباه قال: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية (ثياب تُصنع في مصر وتُنسب إلى القبط وهم من يسكن مصر) كثيفة. كانت مما أهداها دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما لك لم تلبس القبطية؟ قلت: يا رسول الله، كسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: مُرْها فلتجعل تحتها غلالة (ما يُلبس تحت الثوب) إني أخاف أن تصف حجم عظامها (مسند أحمد وغيره).

وقد استدل الشيخ التويجري من الحديث عن طريق القياس -على وجوب النقاب-، فقال: فأولى من ذلك (يعني ستر حجم عظامها)، ستر ظاهر بشرتها عنهم؛ لأنها كلها عورة بالنسبة إلى نظرهم، وسواء في ذلك وجهها وغيره من أعضائها (الصارم المشهور ص١٠٠).

القرائن حول الحديث:

١- إني أخاف أن تصف حجم عظامها: يستدل به على أنه يجب على المرأة أن تلبس ملابس واسعة فضفاضة لا تصف أو تحدّد حجم عظامها.

لكن هل يُقاس وجه المرأة على جسدها؟

أرى -والله أعلم- أن القياس بعيد، فمن المعلوم فطرة وشرعا أن جسد المرأة يختلف عن وجهها، وإن كان جمال المرأة في وجهها، نعم لكن هناك فروق، فالمرأة لا تظهر بدنها إلا لزوجها -حتى محارمها على التأبيد فلا يرون منها إلا زينتها الظاهرة، وهو ما يَظهر منها -غالبًا- حين تعمل في البيت كوجهها وقرطها وقلادتها وسواريها... (انظر تفسير ابن عباس لقوله تعالى: (ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٥٧٦/٨).

٢- ظنية الدلالة:

الحديث ليس بقطعي الدلالة في وجوب تغطية الوجه، وإنما من استدل به، استدل بجامع أن الفتنة بالوجه أولى من الجسد، وهذا غير مسلّم به. كما بينت..

الحديث الرابع والعشرون:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إياكم والجلوس على الطرقات، فقالوا: ما لنا بُدّ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها. قالوا: وما حق الطريق؟ قال: غضّ البصر، وكفّ الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر» (متفق عليه).

القرائن حول الحديث:

١- غض البصر: يقول الألباني عن غض البصر، فإنها تشعر بأن في المرأة شيئًا مكشوفًا يمكن النظر إليه، فلذلك أمر الله تعالى بغض البصر عنهن، وما ذلك غير الوجه والكفين (انظر جلباب المرأة المسلمة صـ٧٦).

قلت: مما لاشك فيه أن غض البصر عن وجه المرأة وكفيها يدخل أصالة في الأمر بغض البصر عن المرأة، لكن لا يقصر الأمر بغض البصر على الوجه والكفين فقط، وإنما الغض عن كل محاسن المرأة. وأيضا فالاستدلال من الحديث على أن الأمر بغض البصر يدل على ظهور وجه المرأة وكفيها، ليس بمسلم به، فالرجل مُطالب بغض البصر عن المرأة كلها.

٢- يقوّي ذلك حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ،المرأة عورة، وأنها إذا خرجت استشرفها الشيطان، وأنها لا تكون أقرب إلى الله منها في قعر بيتها (صحيح سنن الترمذي، وصحيح ابن حبان وغيرهما).

يقول المباركفوري: أي زينها في نظر الرجال... (انظر تحفة الأحوذي ٤/٢٨٣).

الحديث الخامس والعشرون:

عن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: يا عليّ لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليس لك الآخرة (صحيح سنن الترمذي وغيره).

القرائن حول الحديث:

١- السند: سنده فيه راوي اختلفت أقوال أهل العلم فيه بين التوثيق والتضعيف، والكثير على أنه صاحب حديث إلا أنه كثير الخطأ، وهو شريك ابن عبدالله بن أبي شريك القاضي (انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٣/١٦٤-١٦٦, تقريب التهذيب ت٢٧٨٧).وقد حسّنه الألباني بالمتابعات (انظر جلباب المرأة المسلمة صـ ٧٧-٧٨)، وكذلك حسنه الأرناؤوط في المسند ح ٢٢٩٧٤).

٢- لا تتبع النظرة النظرة: النهى عن إتباع النظرة النظرة، هل يستدل به أن هناك شيئًا مكشوفًا في المرأة ينظر إليه الرجل؟ كما استدل الشيخ الألباني من الحديث أن الأمر هنا يستدل به على أن وجه المرأة يكون مكشوفًا، وإلا فماذا سينظر من المرأة.

قلت: إن الأمر بعدم اتباع النظرة النظرة، قد يكون إلى وجه المرأة، أو يكون إلى عينها أو إلى المرأة على عمومها، فالاستدلال منه على أن وجه المرأة يكون مكشوفًا ليس بمسلّم به.

الحديث السادس والعشرون:

عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري (رواه مسلم وغيره).

القرائن حول الحديث:

١- فأمرني أن أصرف بصري: هل يحتج به على أن وجه المرأة يكون مكشوفًا، كما قال القاضي عياض (انظر شرح النووي على مسلم ١٤/١٣٩, مرقاة المفاتيح ٥/٢٠٥٢)، وإلى ذلك ذهب أيضًا العيني (انظر عمدة القاري ٢٠/١١٩). واحتج به الشيخ الألباني على كشف وجه المرأة (انظر جلباب المرأة المسلمة صـ٧٧-٧٨)، أم يُحتج به على أن وجه المرأة يكون مغطى، كما احتج الشيخ التويجري إذ قال: ويستفاد من هذا الحديث أن نساء المؤمنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كن يستترن عن الرجال الأجانب، ويغطين وجوههن عنهم.. ثم قال: لو كُنّ يكشفن وجوههن عند الرجال الأجانب لكان في صرف البصر عنهن مشقة عظيمة، ولا سيما إذا كثرت النساء حول الرجل؛ لأنه إذا صرف بصره عن واحدة فلا بد أن ينظر إلى أخرى. (انظر الصارم المشهور صـ ٩٢-٩٥).

قلت: قول الشيخ التويجري: يغطين وجوههن كما يفيده ظاهر الحديث. غير مُسلّم به، وإنما هو استنباط من الحديث، قد يدل على ما ذهب إليه، وقد يدل على ما ذهب إليه الشيخ الألباني من أن الأمر بصرف البصر يدل على أن النساء كن يكشفن وجوههن.

٢- ظنية الدلالة: الحديث ليس قطعي الدلالة – ليس نصًا– لأي من الفريقين، القائل بوجوب النقاب والقائل بعدم وجوبه، فالخلاف في الاستدلال من النص طالما هو ظنيّ الدلالة سائغ ومعروف.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

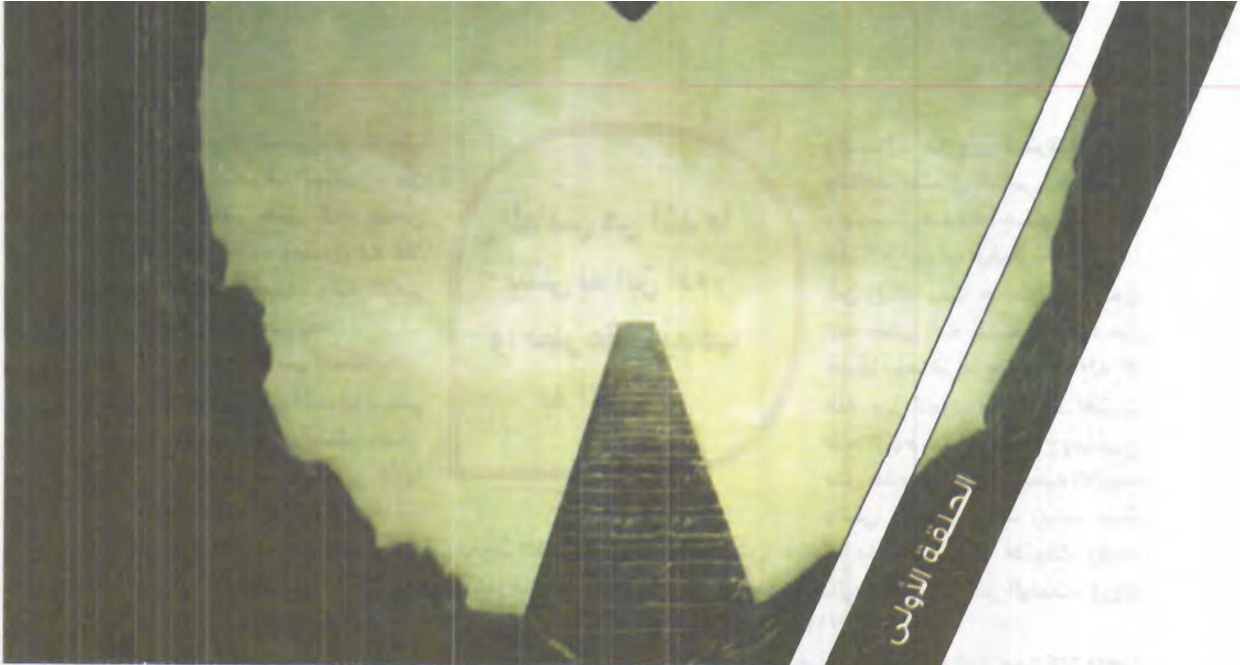

الحلقة الأولى

لنجعلها لكم تذكرةً وتعيها أذنٌ واعيَةٌ

إعداد **د. عماد محمد علي عيسى**

المفتش بوزارة الأوقاف

الْحمد لله رَافع الدَّرجَات لِمَن تواضع لجلاله، وفـاتح الـبركـات لمـن اجتهد في شكر نعمه وأفضاله، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمد المَبْعوث بالآيات الباهرة والحجج، المنْزل عليْه قـرْآن عَرَبيٍّ غير ذي عوج، وعلى آله البررة الهادين وأصحابه الخيَرة بُناة الملَة وحُماة الدين، ومن تبعهم إلى يوم يقوم فيه الناس لرب العالمين، وبعد:

فإذا كنَّا قد علوْنا شرَفا، وأسْلفْنا من الحديث طرَفا عن خطر غشيان المعاصي، وخطورة فشوَ الذنوب، فإنّنا لم نُشْبع الكلامَ عنه، ولم نفصّل القول في ذلك، لذا أحببْتُ أنْ أعمل على مزيد بيانه، وحاولتُ أن أزيـل إشكاله، وأن أضفي على معنى كلامنا إجْـلالـه، وأن أزيـد على هذا السِّياق محَبَة تهيّئ للقارئ إقباله، ولكي أدَقّـق النَّظر حتى لا يختلط الحابل بالنَّابل، وبذلك يستبرئ المرء لدينه، ويحتاط لظنه ويقينه، والله المستعان.

والذي دفعني إلى ذلك أنني لَمّا صرفتُ بصري تلقاء أحْـوال المسلمين من حولنا وجدت الواحد منهم يقع في الذنوب ويلمّ بالخطايا وهـو يشعر أو لا يشعر، وكـأنّـه حاطبُ ليل يحمل أفعى قد تقتله في حالك السواد، وكثير منهم أصبح لا يكاد يعرف قبيلًا من دبير، وكأنّما امتزج الخاثر بالزّباد، فتشابهت عليه الأعجـاز والصـدور، وتشابكت عليه قوادمُ الأمور وحوادثُ الدهور، حتى وقع في

مهواة الحيرة واختلط، ولم يعرف الصواب من الغلط، حتى كاد يُغصُّ المرءُ بالماء ويشرق به فلا يكاد يُسيغه، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

المعاصي هي أشد ما يُبتلى به ابن آدم، وأخطر عقاب يُعاقب به العاصي.

كثرةُ المعاصي أشدُ عقاب:

المعاصي هي أشد ما يُبتلى به ابن آدم، وأخطر عقاب يُعاقب به العاصي لأنها تتسبب في قسوة القلب وقد تزيد هذه القسوة حتى يموت القلب، فلا يحس بعقاب ولا يشعر بعقوبة كما قال القائل:

وما لجرح بميت إيلامُ.

قال تعالى: «ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (الروم: ٤١)، ومن نظر حوله وجد المعاصي فينا باتتْ غاشية، وعاين أنَّ المنكرات أصبحتْ بيننا فاشية، حتى استعارت نارها، وتأجَّجت نيرانها، وتوقدت شعلها، واستطار لهبها، وبعد أن كانت كبارُ المعاصي وصغارُها ترتكب سرارًا صارت تقع مع الإعلان عنها جهارًا، وتسارع إليها أهلها ليلًا ونهارًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

ومن أوضح أسباب هذه الكثرة انتشار الدواعي إلى المعاصي، وازدياد العوارض الباعثة عليها، وفشوّ الأسباب المحرّكة تجاهها والمهيّجة عليها.

وبعد ما كان الناس يرتادون مواطن المعاصي أزمنة بعد أزمنة، ويتمهّلون في التّنقير عنها والبحث آونة تلو آونة، إذا بالمعاصي تنتشر في بيوتهم، وتغمرهم في جُحورهم، وتحيط بهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وأصبح الشابُ من هؤلاء قد انغمس في الخطايا فصار مسترسل الطبيعة منقادها، وقد بات في تلك البلايا والرزايا من الذنوب مشتعل القريحة وقّادها.

ومن تابع دخول الفتيان والشباب وسائر الناس مواقع الفجور، ومن عاين نزولهم مواطن الزور ضربَ كفًا على كف، وألصق يمينه بشماله من شدّة العجب.

جُرأة الناس على الذُنوب مصيبة فادحة:

وإنْ المرء ليكون مضطرب الحال، مكدّر الخاطر والبال، إذا رأى كثرة الخبث، وشاهد افتعال الناس المعصية، وأبصر حوله اجتهادهم في اختلاق أسباب الخطيئة.

عن زينب بنت جحش أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها يومًا فزعًا يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها». قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» (رواه البخاري: ٧١٣٥).

فيجب السعي لإطفاء هذه النار ممَّن كان ذاهبًا وجائيًا، والاجتهاد في النجاة من الهلكة كيفما كان المرء قائمًا وقاعدًا وساعيًا، وأن لا يقرَّ بأحد القرار، ولا يستقرَّ به الحال على أيَ وجه أو غرار حتى يؤدي تجاه ذلك ما عليه، ويصل إلى طريق النجاة بما أمكن لديه.

طريقة العلاج وتغيير هذا المزاج:

لا تظنَّ مع هذه الظلمة الشديدة التي نعيشها اليوم ويعيشها المسلمون في كل مكان أنَّ المسلمين قد خمل ذكرُهم، وأفل نجمُهم، بل هنالك مبشرات في الأمة في شدّة الظلمة، وهذه على قلتها في زماننا، ومع ندرتها في أيامنا: إلا أن الله تعالى يسوقها لتثبيت من شاء من عباده.

علاج يصحّح المسار، ويُحقق من شرائح الشباب أحسن سلالة وأفضل إنتاج، وهو أنْ يسلك بهم تلك الطرائق، ويتعلَموا الغوص على تلك الحقائق، وبهذا نستطيع معالجة حالنا وتقويم اعوجاجه، وتعليم هذه الأجيال تمييز حُلوه من أجاجه، وهذا نذيرٌ لكل مُطالع، وانباهٌ وتحذيرٌ للجيل القادم والطالع.

أولًا: إضاءة المَجاهل وشحذ الهمم وتفجير الطاقات:

ومن الواجب علينا قيامًا بحق هذه الملة وخدمة لتلك الأمة، وأيضًا من أجل تغيير هذا الواقع المرّ والحال المؤلمة التي تعيشها الأجيال المسلمة يجب علينا شحذ الهمّة لصُعودها عن السّفح إلى القمّة، والعمل على إضاءة هذه المَجاهل.

وتفجير الطاقات في الطاعات للاشتغال بها عن سوء تلك الأعمال وما تحتويه من سيء المعامل، وخوض هذا الغمار، والسّباحة في ذاك المضمار، مع كوننا حاملين مشاعل النور لتفادي الأمة السقوط في الهاوية أو العثور، وبهذا نُسعد أمتنا ونرضي ربنا ونَسْعد، ولعلنا نُقبل عند الله تعالى ونقترب منه ولا نبعد.

فهلم لنُقارب الخُطا إلى الباب، ونُقيل على الأعتاب، وإن لم نصل إلى غايتنا ونحقق أمنيّتنا فلعل الله سبحانه يُقيل الله عثرتنا، ويَمْحو خطيئتنا، ويجنبنا زلّتنا وكبوتنا، وهو على ما يشاء قدير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

ثانيًا: لُزوم الْجَادَة لا سيَّمَا في فَجْر العُمْر:

قال تعالى عن أهل الكهف: « نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا (١٤) هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا » (الكهف: ١٣-١٥)، فهؤلاء فتية كانوا في رغد العيش، لا يكاد ينقصهم شيء من متاع الحياة، ومع ذلك ما أن سمعوا مناديًا ينادي للإيمان، وداعيًا يدعو لترك البهتان والأوثان حتى لبُوا النداء، وتركوا ذاك المتاع وراءهم.

وإنني على يقين يغمر القرائح، ويَبْهرُ الألباب القوارح أنه لو أتيح لكثير من الشباب التروّي من القرآن العظيم، والتشبّع من السُّنة النبويّة لنبيّنا الكريم صلى الله عليه وسلم لتخلفوا عن ركب خَلْف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وللزموا الجادّة، واستقاموا على الطّريقة، واهتدَوا إلى سواء السّبيل، غير أنّ آفة المُسلمين اليوم، وداءهم القاتل، ومرضهم العُضال أنهم يتساهلون في شأن الشبيبة، ويتهاونون في شأن السّنين الأولى من حياة الأبناء والبنات، فمنهم من يزعم أنه التعلق بآداب الإسلام في صغر السن تضييق عليهم، ومنهم من يدّعي أنّ هذا ليس أوانه لأنهم -فيما يتوهمون- سيتمسّكون بالهُدى، ومنهم من يظنّ أنّ الدين ليس في التمسُّك بهذه الشعائر في الصّغر شأنٌ وليس دونه بلوغ مأرب بل هو شيء فيه ريب ولجاجة، هكذا يظنون، وهذا ما يزعمون، "وبئس مطية الرجل زعموا" كما ثبت في الحديث عن نبينا صلى الله عليه وسلم. رواه أبو داود (٤٩٧٢) عن أبي مسعود البدري، وإسناده صحيح.

الشباب طليعة
وقادة الأمة في دينها
وأئمتها في دنياها.

وإن تعجبْ فاعجب لامرأة تمشي بين الناس قد غطّت كلّ شيء من بدنها، ولم يبد منها إلا نقب عينيها، وإذا بها تصطحب معها ابنتها وهي كاسية عارية، أو شبه عارية، فقل لي بربك: أين المنهج عند هؤلاء الأقوام، وأيّ دين قد فهموا، وأيّ شرع قد عقلوا؟

ولو أنّ المسلمين تركوا هذه المفاهيم الضالة، وتخلّوا عن تلك الأفكار المقيّدة للصّلاح والغالة، وهجروا الأعمال المانعة من الهداية، واشتغلوا بإصلاح أنفسهم في أمر الديانة؛ لجمع الشبابُ الصلاح والتقوى، ولاكتسبوا معارف الإيمان، ولعرفوا طرق الهداية من أوّل الطريق، ولسلموا من الوُلوج في طرائق البَيْداء، ولنجَوا من التيه في مَفازة الشهوات والتطوّح، ولأمنوا من الضعف الذي أدرك أفهامهم وغيّر أفكارهم والترنّح.

إنّ لزامًا على هؤلاء الأقوام أن يعلموا أن هؤلاء الطليعة قادة الأمة في دينها، وأئمتها في دُنياها، وهم مصابيحُ ظُلمتها، وأساس قوّتها، وأصل عُدّتها، وسرُّ قوّتها وشوكتها، كما أنهم قاطعو من طريقها شوكها، وحاصدو عوسجها وقتادها، ومن عرف ذلك لم يبغ بإصلاح الشباب بدلًا، ولم يصرف همته إلا إليهم علمًا وعملًا، ولم يبغ عن هدايتهم حولًا.

وللحديث بقية إن شاء الله.

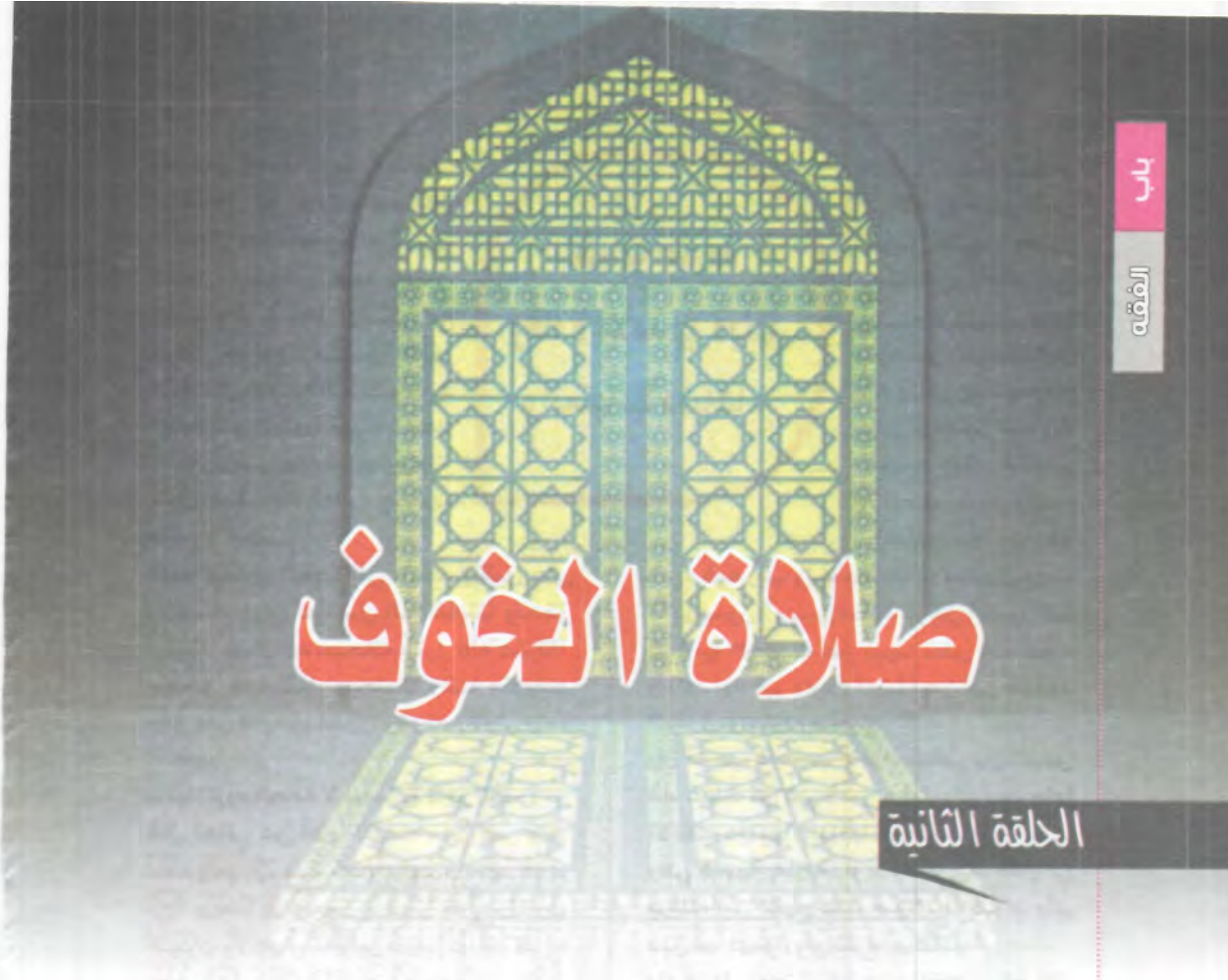

صلاة الخوف

الحلقة الثانية

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد بدأنا في اللقاء السابق الحديث عن صلاة الخوف وما يتعلق بها من أحكام، وتكلمنا عن مسائل منها: تعريفها وحكمها، فنكمل في هذا اللقاء الحديث عن شروط صلاة الخوف، والروايات التي وردت في صلاة الخوف.

ثالثا: متى تجوز صلاة الخوف:

تجوز صلاة الخوف في قتال الكفار لقوله تعالى: (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٞ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ) (النساء:١٠٢)، وكذلك يجوز في كل قتال مباح كقتال أهل البغي وقطاع الطريق لأنه قتال جائز فهو كقتال الكفار، وأما القتال المحظور كقتال أهل العدل وقتال أهل الأموال لأخذ أموالهم فلا يجوز فيه صلاة الخوف؛ لأن ذلك رخصة وتخفيف فلا يجوز أن تتعلق بالمعاصي، ولأن فيه إعانة على المعصية، وهذا لا يجوز. (المهذب للشيرازي).

ويشترط حضور العدو أو السبع، أو خوف الغرق أو الحرَق: فمن خاف العدو أو الخطر، سواء أكان الخوف على النفس أم المال، جاز له صلاة الخوف عند الجمهور والمشهور من مذهب المالكية في السفر والحضر وفي البحر والبر، في القتال أو غيره، لعموم قوله تعالى: «وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ» (النساء:١٠٢)، فهو عام في كل حال. فلو رأوا سواداً ظنوه عدواً، فصلوها، فإن تبين الأمر كما ظنوا صحت صلاتهم،

وان ظهر خلافه، لم تجز، فإذا كانت الصلاة من غير خوف فسدت، قال الشافعية والحنابلة: من أمن وهو في الصلاة أتمها صلاة آمن، ومن كان آمنا فاشتد خوفه أتمها صلاة خائف. وقال المالكية: من أمن صلى صلاة أمان. وتكون صلاة الحضر تامة، وصلاة السفر الرباعية مقصورة؛ لأن الخوف لا يؤثر في عدد الركعات. (الفقه الإسلامي للزحيلي).

رابعًا: الروايات التي وردت في صلاة الخوف:

جاءت صلاة الخوف عن النبي-صلى الله عليه وسلم- على أنواع مختلفة، منها ما هو في الصحيحين وهي مفصلة في صحيح مسلم، وبعضها في سنن أبي داود وغيره، وهي هامة في معرفة كيفية صلاة الخوف.

١- عن صالح بن خوات "عمّن صلّى مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم، يوم ذات الرّقاع صلاة الخوف: أنا طائفة صفّت معه، وصفّت طائفة وجاه العدوّ، فصلّى بالذين معه ركعة، ثمّ ثبت قائمًا، وأتمّوا لأنفسهم ركعة ثمّ انصرفوا، وصفّوا وجاه العدوّ، وجاءت الطّائفة الأخرى، فصلّى بهم الرّكعة الّتي بقيت عليه، ثمّ ثبت جالسًا وأتمّوا لأنفسهم، ثمّ سلّم بهم". أخرجه مالك في الموطأ واللفظ له، والبخاري بلفظ قريب، ومسلم بنحوه، وأصحاب السنن خلا الترمذي.

وفي رواية للبخاري ومسلم عن صالح عن سهل بن أبي حثمة دون إبهام الراوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- وعن جابر قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع...... وأقيمت الصلاة، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين؛ وكان للنبي صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان". أخرجه البخاري، ومسلم.

وسميت الغزوة بذات الرقاع، قيل: لأن أقدامهم نَقِبَت، وسقطت أظفارهم، فلفوا على أرجلهم الخرق، كما عند البخاري من حديث أبي موسى الأشعري. وقيل: لأنهم رقعوا فيها راياتهم. وقيل: بشجر بذلك الموضع يقال له: ذات الرقاع. وقيل: بل الأرض التي كانوا نزلوا بها كانت ذات ألوان تشبه الرقاع. وقيل: لأن خيلهم كان بها سواد وبياض. وقيل: سميت بجبل كان هناك. (انظر: فتح الباري لابن حجر ٧/٤١٩).

٣- وعن ابن عمر قال: "صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بإحدى الطّائفتين ركعة، والطّائفة الأخرى مواجهة العدوّ، ثمّ انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مقبلين على العدوّ، وجاء أولئك ثمّ صلّى بهم النّبيّ صلى الله عليه وسلم ركعة، ثمّ سلّم النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ثمّ قضى هؤلاء ركعة، وهؤلاء ركعة" أخرجه البخاري، ومسلم.

٤- ولمسلم عن جابر قال: "شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف، فصففنا صفّين، صفّ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعدوّ بيننا وبين القبلة، فكبّر النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وكبّرنا جميعًا، ثمّ ركع، وركعنا جميعًا، ثمّ رفع رأسه من الرّكوع، ورفعنا جميعًا، ثمّ انحدر بالسّجود، والصّفّ الذي يليه، وقام الصّفّ المؤخّر في نحر العدوّ، فلمّا قضى النّبيّ صلى الله عليه وسلم السّجود، وقام الصّفّ الذي يليه، انحدر الصّفّ المؤخّر بالسّجود، وقاموا، ثمّ تقدّم الصّفّ المؤخّر، وتأخّر الصّفّ المقدّم، ثمّ ركع النّبيّ صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعًا،

ثُمَّ رفعَ رأسهُ منَ الرُّكوعِ ورفعنا جميعًا، ثُمَّ انحدرَ بالسُّجودِ والصفُّ الذي يليه الذي كانَ مؤخرًا في الرَّكعةِ الأولى، وقامَ الصفُّ المؤخَّرُ في نُحورِ العدوِّ، فلمَّا قضى النبيُّ صلى الله عليه وسلم السُّجودَ والصفُّ الذي يليه، انحدرَ الصفُّ المؤخَّرُ بالسُّجودِ، فسجدوا، ثُمَّ سلَّمَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وسلَّمنا جميعًا".

٥- وعن أبي عياش الزرقي قال: كنَّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعُسفانَ، وعلى المشركينَ خالدُ بنُ الوليدِ، فصلَّينا الظهرَ، فقال المشركون: لقد أصبنا غرَّةً، لقد أصبنا غفلةً! لو كنَّا حملنا عليهم وهم في الصلاةِ! فنزلتْ آيةُ القصرِ بينَ الظُّهرِ والعصرِ، فلمَّا حضرتِ العصرُ، قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُستقبلَ القبلةِ، والمشركون أمامَه، فصفَّ خلفَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم صفٌّ، وصفَّ بعدَ ذلك الصفِّ صفٌّ آخرُ، فركعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وركعوا جميعًا، ثُمَّ سجدَ وسجدَ الصفُّ الذين يلونه، وقامَ الآخرونَ يحرُسونَهم، فلمَّا صلَّى هؤلاءِ السَّجدتينِ وقاموا، سجدَ الآخرونَ الذينَ كانوا خلفَهم، ثُمَّ تأخَّرَ الصفُّ الذي يليه إلى مقامِ الآخرينَ، وتقدَّمَ الصفُّ الأخيرُ إلى مقامِ الصفِّ الأولِ، ثُمَّ ركعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وركعوا جميعًا، ثُمَّ سجدَ وسجدَ الصفُّ الذي يليه، وقامَ الآخرونَ يحرُسونَهم، فلمَّا جلسَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والصفُّ الذي يليه، سجدَ الآخرونَ، ثُمَّ جلسوا جميعًا، فسلَّمَ عليهم جميعًا، فصلَّاها بعُسفانَ، وصلَّاها يومَ بني سُليمٍ. رواه أبو داود وقال روى أيوب وهشام عن أبي الزبير عن جابر هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك رواه داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس.

٦- عن ابن عمر قال: " غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجدٍ، فوازينا العدوَّ، فصاففنا لهم، فقامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصلي لنا، فقامتْ طائفةٌ معه تُصلي وأقبلتْ طائفةٌ على العدوِّ، وركعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمن معه وسجدَ سجدتينِ، ثُمَّ انصرفوا مكانَ الطائفةِ التي لم تُصلِّ، فجاؤوا، فركعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعةً وسجدَ سجدتينِ، ثُمَّ سلَّمَ، فقامَ كلُّ واحدٍ منهم، فركعَ لنفسه ركعةً وسجدَ سجدتينِ. (رواه البخاري).

٧- وعن مروان بن الحكم أنه سأل أبا هريرة هل صلَّيتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الخوفِ؟ قال أبو هُريرة: نعم، فقال مروانُ: متى؟ قال أبو هُريرة: عامَ غزوةِ نجدٍ؛ قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاةِ العصرِ، فقامتْ معه طائفةٌ، وطائفةٌ أخرى مُقابلي العدوِّ وظُهورُهم إلى القبلةِ، فكبَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فكبَّروا جميعًا: الذين معه، والذين مُقابلي العدوِّ، ثُمَّ ركعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ركعةً واحدةً، وركعتِ الطائفةُ التي معه، ثُمَّ سجدَ، فسجدتِ الطائفةُ التي تليه، والآخرونَ قيامٌ مُقابلي العدوِّ، ثُمَّ قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وقامتِ الطائفةُ التي معه، فذهبوا إلى العدوِّ، فقابلوهم، وأقبلتِ الطائفةُ التي كانتْ مُقابلي العدوِّ، فركعوا وسجدوا، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ كما هو، ثُمَّ قاموا، فركعَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ركعةً أُخرى وركعوا معه، وسجدَ وسجدوا معه، ثُمَّ أقبلتِ الطائفةُ التي كانتْ مُقابلي العدوِّ، فركعوا وسجدوا، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ ومن معه، ثُمَّ كانَ السلامُ، فسلَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، وسلَّموا جميعًا، فكانَ

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان، ولكلّ رجُل من الطائفتين ركعة ركعةً. رواه أبو داود والنسائي

٨- وعن ابن عباس: " أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بذي قَرَد وصفّ النّاسُ خلفهُ صفّين صفًّا خلفهُ وصفًّا مُوازيَ العدوّ فصلّى بالّذين خلفهُ رَكْعةً ثمّ انصرف هؤلاء، إلى مَكان هؤلاء وجاء أولئك فصلّى بهم رَكْعةً ولم يَقضوا". رواه النسائي

٩- وعن ثعلبة بن زهدم قال: " قال كنا مع سعيد بن العاصي بطبرستان فقال: أيُّكم صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف؟ فقال حذيفة: أنا، قال: فقام حذيفةُ وصفّ النّاسَ خلفه صفّين: صفًّا خلفه وصفًّا موازيَ العدوّ فصلّى بالّذين خلفه ركعةً ثمّ انصرف هؤلاء مكان هؤلاء وجاء أولئك فصلّى بهم ركعةً ولم يقضوا". رواه أبو داود والنسائي واللفظ له.

١٠- وكذلك رواه أيضاً زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: فكانت للقوم ركعةً ركعة، وللنبي صلى الله عليه وسلم ركعتين.

١١- وعن ابن عباس قال: "فرضَ اللهُ الصّلاةَ على لسان نبيّكم صلّى الله عليه وسلّمَ في الحضر أربعًا، وفي السّفر ركْعتين، وفي الخوف رَكْعةً". رواه مسلم.

١٢- وعن عبد الله بن أنيس قال: " بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن سفيان الهذليّ وكان نحو عُرَنَةَ وعَرَفَات فقال اذهبْ فاقتُلْه. فرأيْتُه وحضرتْ صلاةُ العصر، فقلتُ: إنّي أخافُ أنْ يكون بيْني وبيْنَه ما أنْ أؤخّرَ الصلاةَ، فانطلقْتُ أمْشي وأنا أصلّي أومئُ إيماءً نحوَهُ، فلمّا دنوتُ منه قال لي: مَنْ أنتَ؟ قلتُ: رجلٌ منَ العرب، بلغني أنّك تجمعُ لهذا الرجلِ فجئتُك في ذاك. قال: إني لفي ذاك، فمشيْتُ معَهُ ساعةً حتى إذا أمكنني علوْتُهُ بسيْفي حتّى برَدَ". رواه أحمد وأبو داود.

وأما صلاة المغرب فليس للنبي فعل فيها ولا قول، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/٤٢٤): لم يقع في شيء من الأحاديث المروية في صلاة الخوف تعرض لكيفية صلاة المغرب.

هذا ما تيسر لنا جمعه من الأحاديث الواردة في صلاة الخوف.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم الأربعاء ٥ رجب ١٤٤٢هـ الموافق ١٧ فبراير ٢٠٢١م شيخ المالكية بمصر، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور أحمد طه ريان، رحمه الله تعالى رحمة واسعة. وتتقدم اللجنة العلمية وأسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ وطلابه ومحبيه.

اللهم اغفر لعبدك أحمد طه ريان، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين. اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

كتاب عربي علّم العالم

الجامع لمفردات الأدوية والأغذية

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد.

فيعد كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية والمعروف "بمفردات ابن البيطار" من أنفس الكتب النباتية وأشهرها، ألفه ابن البيطار وهو أعظم من نبغ في هذا الميدان بعد دراسات مضنية، وبعد أن جاب كل البلاد، حيث أودع فيه كل تجاربه ومشاهدته خلال سني أبحاثه الطويلة، معتمداً المنهج العلمي في البحث والتنقيب، وعلى التجربة والمشاهدة كأساس لدراسة النبات والأعشاب والأدوية.

إعداد محمد محمود فتحي

التعريف بالكتاب

يُعد هذا الكتاب أشهر كُتب ابن البيطار، وهو موسوعة في الصيدلة، تحتوي على وصف مُفصل لأكثر من ١،٤٠٠ نوعًا من الأعشاب والأطعمة والعقاقير الطبية، وبيان قيمها العلاجية واستخداماتها الدوائية، كما يحتوي الكتاب أيضًا على إشارات إلى ١٥٠ كاتبًا عربيًا و ٢٠ كاتبًا يونانيًا. ذكر فيه أسماء الأدوية والأغذية من نبات وحيوان وجماد، حسب ترتيب حروفها الهجائية.

ألف ابن البيطار كتابه في أُخريات حياته، بعد دراسات عملية قائمة على التجربة والمشاهدة كأساس لدراسة النبات والأعشاب والأدوية، وهو من أهم كتب ابن البيطار إطلاقًا وأوسع كتبه في موضوع علم النبات وأعمقه، وهو من أجلِ ما ألَف العرب في موضوع الأدوية المفردة وعلم النبات طول الحقبة الممتدة من ديسقوريدوس إلى القرن السادس عشر الميلادي، فقد كان الكتاب دائرة معارف حقيقية في هذا الموضوع، ضمت بين دفتيها كامل الخبرات الاغريقية والعربية.

وقد وصف فيه أكثر من ألف وأربعمائة عقار بين نباتي وحيواني ومعدني، منها ثلاثمئة من صنعه، مبينًا الفوائد الطبية لكل واحد منها، ومرتبة ترتيبًا أبجديًا. بالرغم من أن مادة الكتاب كانت في معظمها تجميعًا لما اطلع عليه ابن البيطار، فإن شخصيته ظهرت في الكتاب ظهورًا بارزًا تمثلهُ مظاهر كثيرة؛ أولها نقد المؤلف العلمي المنهجي الدقيق لأخطاء العلماء العرب الذين نقل عنهم، والتراجمة الذين نقلوا كتب الطب والصيدلة الأعجمية إلى العربية، كالرازي والإدريسي وابن سينا، والنقد الذي وجهه ابن البيطار لهؤلاء العلماء وهم أعلام العلماء في الصناعة الطبية مهم جدًا لأنه دال على مدى تمكنه من معرفة الأدوية المفردة، وعلى قدرته على التمييز الصحيح بين أصناف الأدوية وأنواعها، وخاصة الأدوية النباتية. وثانيهما إسهام ابن البيطار في المادة النباتية العربية بإضافته نباتات جديدة من محض

اكتشافه إلى النباتات التي عرفها العرب من قبل سواء عن طريق الترجمة أو عن طريق التجارب الخاصة. ويقول في مقدمة كتابه عن سبب تسميته له بالجامع: «وسميته الجامع لكونه بين الدواء والغذاء، واحتوى على الغرض المقصود مع الإيجاز والاستقصاء».

ابن البيطار

ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار، والملقَّب بالنباتي والعشَّاب (٥٩٣ هـ / ١١٩٧م - ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨م) عالم نباتي وصَيْدَلي مُسلم، يعتبر من أعظم العلماء الذين ظهروا في القرون الوسطى، وعالم عصره في عُلوم النبات والعَقاقير، والصيدلاني الأول في تراكيب الدَّواء ورائد العلاج الكيميائي. ولد في الأندلس بمدينة مالقة، وتلقى علومه في إشبيلية على أيدي علمائها مثل أبي العباس ابن الروميَة النَباتي وعبد الله بن صالح الكتامي. انتقل إلى المغرب بعد أن بلغ العشرين من عمره، وزار مراكش والجزائر وتونس كباحث في علم النبات، ثم إلى آسيا الصغرى مارًا بالشام ومنها إلى الحجاز وغزة والقدس وبيروت ومصر ثم إلى بلاد اليونان وأقصى بلاد الروم إلى أن استقر في دمشق، حيث قام فيها بأبحاثه فيما يخص النباتات.

وضع ابن البيطار عددًا من المؤلفات أشهرها الموسوعة النباتية المسماة الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، والذي وصف فيه أكثر من ١,٤٠٠ عقار نباتي وحيواني ومعدني منها ٣٠٠ من صنعه، مبينًا الفوائد الطبية لكل واحد منها، وقد وضعه وهو مقيم في مصر، وقسمه إلى أربعة أقسام.

توفي ابن البيطار في دمشق عام ٦٤٦ هـ الموافق ١٢٤٨م. وهو في الحادية والخمسين من عمره.

أغراض الكتاب

الفرض الأول، استيعاب القول في الأدوية المفرعة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار عند الاحتياج إليها في ليل كان أو نهار، مضافاً إلى ذلك ذكر ما ينتفع به الناس من شعار ودثار.

الفرض الثاني، صحة النقل فيما أذكره عن الأقدمين، وأحرره عن المتأخرين، فما صح عندي بالمشاهدة والنظر وثبت لدي بالخبر لا الخبر ادخرته كنزاً سرياً وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنياً، وما كان مخالفاً في القوى والكيفية، والمشاهدة الحسية في المنفعة والماهية للصواب والتحقيق أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سواء الطريق، نبذته ظهرياً وهجرته ملياً.

الفرض الثالث، ترك التكرار حسب الإمكان، إلا فيما تمس الحاجة إليه لزيادة معنى وتبيان.

الفرض الرابع، تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مقفى ليسهل على طالب ما طلب من غير مشقة ولا غناء ولا تعب.

الفرض الخامس، التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط المتقدم أو متأخر لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل، واعتمادي على التجربة والمشاهدة.

الفرض السادس، في أسماء الأدوية بسائر اللغات المتباينة في السمات، مع أني لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه منفعة مذكورة، أو تجربة مشهورة.

اسهامات ابن البيطار

يُعد ابن البيطار رائد للعلاج الضوئي الكيميائي، فقد استخدم بذور نبات الخلة في علاج البهاق، وكان ابن البيطار يخلط بذور الخلة مع عسل النحل، ويُقدمها للمريض، ثم يجعله يتعرَض للشمس ساعة أو ساعتين حتى يتصبَب عرقاً، وكان يُتابع حالة مرضاه بدقة حتى إنه ذكر أن البقع المصابة تتأثر، وتظهر بها فقاعات، بينما الجلد السليم لا يتأثر، ثم تكتسب اللون الطبيعي بالتدريج، وفيما يتعلق بهذا المرض كان ابن البيطار أول من ذكر أن الجلد المصاب يصعب علاجه فوق النتوءات العظمية.

ترجمات الكتاب

ترجم إلى اللاتينية وطبع بمدينة قرمونة عام ١٧٥٨م، كما ترجمه إلى الألمانية المستشرق فون زونتهايمر، ونشره في مدينة شتوتغارت بألمانيا عام ١٨٤٠. كما ترجمه إلى الفرنسية المستشرق والطبيب لوسيان لوكلرك. طبع الكتاب بالعربية بعناية أحمد أبو العينين، ونشرته مطبعة بولاق بالقاهرة عام ١٢٩١هـ الموافق ١٨٧٤م، وهو في أربعة أجزاء. كما أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد عام ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩٦٤م في أربعة أجزاء . والي كتاب آخر نبحر من خلاله ونرسوا علي شطآنه

والحمد لله رب العالمين.

حقّ الزوجة على زوجها

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد؛

فقد تحدثنا في العدد السابق إجمالا عن حق الزوج على زوجته، وفي هذا العدد نتحدث -بعون الله- عن حق الزوجة على زوجها، فنقول وبالله التوفيق:

إن سعادة ابنة آدم تكمن في أن يرزقها الله تعالى الزوج الصالح الذي يخشى الله تعالى ويتقيه، فإن أحب زوجته أكرمها وإن كرهها لم يظلمها.

إعداد **د. جمال عبد الرحمن**

وخير ما أجده في إظهار إكرام زوج لزوجته ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم لحياة رجل مع امرأته، حتى كانت تلك المرأة هي التي تُحدِّث بذلك الحديث النبيل، وتشهد لزوجها بأنه فاضل جليل، وحتى أعجبت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بذلك الحديث، مما جعل رسول الله عليه الصلاة والسلام يخبرها بأن تعامله معها كذلك الرجل مع زوجته، وللنبي فضل زائد على هذا الرجل.

تلك المرأة التي قصت قصة إكرام زوجها لها، وكيف سعدت هي بهذا الإكـرام هي أم زرع في حديثها المشتهر عند كثير من الناس بحديث أم زرع.

قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ-(أم زرع)-: زَوْجِي أَبُو زَرْع، فَمَا أَبُو زَرْعٍ؟ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وَمَلأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلاَ أُقَبَّحُ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ، وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ أُمُّ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ؟ عُكُومُهَا رَدَاحٌ وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ؟، مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ؟ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا، وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ؟ لاَ تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا، وَلاَ تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا، وَلاَ تَمْلأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا. قَالَتْ: خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالأَوْطَابُ تُمْخَضُ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلاً سَرِيًّا، رَكِبَ شَرِيًّا، وَأَخَذَ خَطِّيًّا، وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا، قَالَ: كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ، فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ

شيء أعطاني ما بلغ أصغر آنية أبي زرع. قالت عائشة: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كنت لك كأبي زرع لأم زرع». صحيح مسلم ح٩٢.

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لصحيح مسلم: قولها (أناس من حلي أذني): النوس بالنون والسين المهملة: الحركة من كل شيء متدل.. ومعناه حلاني قرطة وشنوفا فهي تنوس أي تتحرك لكثرتها. وقولها (وملأ من شحم عضدي): معناه: أسمنني وملأ بدني شحما، ولم ترد اختصاص العضدين لكن إذا سمنتا سمن غيرهما.

وقولها: (وبجحني فبجحت إلي نفسي) هو بتشديد جيم بجحني فبجحت بكسر الجيم... معناه فرحني ففرحت، وعظمني فعظمت عند نفسي. قولها (وجدني في أهل غنيمة بشق فجعلني في أهل صهيل وأطيط ودائس ومنق): أرادت أن أهلها كانوا أصحاب غنم لا أصحاب خيل وإبل لأن الصهيل أصوات الخيل والأطيط أصوات الإبل وحنينها والعرب لا تعتد بأصحاب الغنم وإنما يعتدون بأهل الخيل والإبل، وأما قولها بشق: موضع بشق جبل لقلتهم وقلة غنمهم. وشق الجبل ناحيته. أي بشظف من العيش وجهد...

وقولها: (ودائس): هو الذي يدوس الزرع، يقال داس الطعام درسه. قولها: (ومنق): هو من النقيق وهو أصوات المواشي تصفه بكثرة أمواله. والمراد به الذي ينقي الطعام أي يخرجه من بيته وقشوره، وينقيه بالغربال والمقصود أنه صاحب زرع ويدوسه وينقيه. قولها: (فعنده أقول فلا أقبح وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح): معناه: لا يقبح قولي فيرد، بل يقبل مني، ومعنى أتصبح أنام الصبحة وهي بعد الصباح، أي أنها مكفية بمن يخدمها فتنام.

وقولها: (فأتقنح) وعند البخاري (فأتقمح): معناه أروى حتى أدع الشراب من شدة الري، ومنه قمح البعير يقمح: إذا رفع رأسه من الماء بعد الري. قولها: (عكومها رداح): وهي الأوعية التي فيها الطعام والأمتعة واحدها عكم. (ورداح) أي عظام كبيرة. قولها: (وبيتها فساح): أي واسع والفسيح مثله. ويحتمل أنها أرادت كثرة الخير والنعمة.

وقولها: (مضجعه كمسل شطبة): وهي ما شطب من جريد النخل، أي شق، وهي السعفة، لأن الجريدة تشقق منها قضبان رقاق. مرادها: أنه مهفهف خفيف اللحم كالشطبة، وهو مما يمدح به الرجل، والمسل هنا مصدر بمعنى المسلول أي ما سل من قشره. قولها: (وتشبعه ذراع الجفرة) الذراع مؤنثة، وقد تذكر والجفرة: وهي الأنثى من أولاد المعز، وقيل: من الضأن وهي ما بلغت أربعة أشهر وفصلت عن أمها والذكر جفر، لأنه جفر جنباه أي: عظما. والمراد أنه قليل الأكل، والعرب تمدح به.

وقولها: طوع أبيها وطوع أمها: أي مطيعة لهما منقادة لأمرهما. قولها: (وملء كسائها): أي ممتلئة الجسم سمينته... قال القاضي: والأولى أن المراد: امتلاء منكبيها وقيام نهديها بحيث يرفعان الرداء عن أعلى جسدها فلا يمسه فيصير خاليا بخلاف أسفلها. قولها: (وغيظ جارتها): المراد بجارتها ضرتها يغيظها ما ترى من حسنها وجمالها وعفتها وأدبها. (لا تبث حديثنا تبثيثا): أي لا تشيعه وتظهره، بل تكتم سرنا وحديثنا كله. قولها: (ولا تنقث ميرتنا تنقيثا): الميرة: الطعام المجلوب، ومعناه: لا تفسده ولا تفرقه ولا تذهب به، ومعناه: وصفها بالأمانة.

وقولها: (ولا تملأ بيتنا تعشيشا): أي لا تترك الكناسة والقمامة فيه مفرقة كعش الطائر بل هي مصلحة للبيت معتنية بتنظيفه. وقيل من النميمة أي لا تتحدث بنميمة. قولها: (والأوطاب تمخض) هو جمع وطب: وهي سقية اللبن التي يمخض فيها. قولها: (فنكحت بعده رجلا سريا ركب شريا): فالأول معناه سيدا شريفا وقيل سخيا. والثاني هو الفرس الذي يستشري في سيره أي يلح ويمضي بلا فتور ولا انكسار.

وقولها: (وأخذ خطيا): الخطي: الرمح. قولها: (وأراح علي نعما ثريا) أي أتى بها إلى مراحها وهو موضع مبيتها. (والنعم): الإبل، (والثري): الكثير من المال وغيره ومنه الثروة في المال وهي كثرته. قولها: (وأعطاني من كل رائحة

زَوْجـا): أيْ ممَّا يـرُوحُ منَ الإبْـل والْبقر والْغنم والْعبيد. وقوْلها: (زوْجَا): أي اثْنيْن، ويحْتملُ أنَّها أرادتْ صنْفًا.

وقَوْلُهُ صلَّى اللّه عليْه وسلَّم لعائشة رضَي اللّه عنْها: (كُنْتُ لك كأبي زرْع لأمِّ زرْع) قال الْعُلماءُ: هُوَ تطْييبٌ لنفْسها وإيضاحٌ لحُسْن عشْرته إيّاها، ومعْناهُ: أنا لك كأبي زرْع، وكان زائدةً أوْ للدّوام، كقوْله تعالى: "وكان اللّه غفورًا رحيمًا". أيْ كان فيما مضى وهُو باقٍ كذلك. واللّه أعْلمُ. قال الْعُلماءُ: في حديث أمِّ زرع هذا فوائد: منها استحباب حُسْن الْمعاشرة للأهْل. شرح النووي على مسلم (١٥/٢١٥. ٢٢١).

وقد ظهر ذلك جليًا في استماع الرسول صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين عائشة هذا الوقت الطويل، وهي تحكي قصة إحدى عشرة امرأة ولم يُظهر لها مللاً، ولا ضجرًا، بل إنه ختم الجلسة بكلمات طيبة تشرح الصدر، وتزيح النفس، فإنه لما سمع حديثها عن أم زرع ووجده حديثا طيبًا قال لها: «كنتُ لك كأبي زرع لأم زرع». يعني في حُسن العشرة ودوام المحبة والألفة، وأكد ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم «إلا أنه طلقها، وإني لا أطلقك».

ولما مضى فكما أن للزوج حقًا على زوجته فإن عليه واجبات، هذه الواجبات هي حق امرأته عليه:

عن معاوية بن حيدة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت. (صحيح الجامع: ٣١٤٩).

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "يا عبد الله! ألم أخبَر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فلا تفعل فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك، وتفهت نفسك، فصم وأفطر، وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينيك عليك حقًا، وإن لزوجك عليك حقًا، وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله: قال: إني أجد قوة قال: فصم صيام نبي الله داود ولا تزد عليه نصف الدهر". (صحيح الجامع: ٧٩٤٢).

اصبر على زوجتك ولك أجر المثل

عن معاذ بن أنس مرفوعًا: "من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق حتى يخيره من الحور العين يزوجه منها ما شاء". (صحيح الجامع: ٦٥٢٢).

أموال المرأة الخاصة

عن واثلة مرفوعا: "ليس للمرأة أن تنتهك شيئًا من مالها إلا بإذن زوجها". (صحيح الجامع: ٥٤٢٤)، قال المناوي: الحديث لا يعم جميع تصرفها، بل أن تتجاوز الضرورة وتقرب من تضييع المال، وهو معنى الانتهاك.

قلت: فإن كانت معتدلة عاقلة فهي مفوضة في مالها، فإن استشارت زوجها فيما تنفقه من مالها فذلك أفضل وإلا فلا سلطان لزوجها على مالها. فأما إن كانت تحصل على مالها من وظيفة كمرتب شهري فالأمر لا يخضع إلا للتراضي والتشاور والفضل، وليس له قانون محدد، لكن النصيحة هنا: إن كان الزوج قادرًا على الإنفاق دون عمل زوجته فتقر هي في بيتها أصون لدينها وأرضى لربها. فليتق كل منهما ربه، وإن كان الزوج فقيرًا فلتساعد زوجته في نفقة العيال، إن كان لها مال.

عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كنت في المسجد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "تصدقن ولو من حليكن" وكانت زينب تنفق على عبد الله وأيتام في حجرها، فقالت لعبد الله: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق عليك وعلى أيتامي في حجري من الصدقة؟ فقال: سلي أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوجدت امرأة من الأنصار على الباب حاجتها مثل حاجتي، فمر علينا بلال فقلنا: سل النبي صلى الله عليه وسلم: أيجزي عني أن أنفق على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا: لا تخبر بنا، فدخل فسأله فقال: "من هما" قال: زينب. قال: "أي الزيانب"؟ قال امرأة عبد الله. قال: "نعم لها أجران: أجر القرابة وأجر الصدقة". (صحيح البخاري ٢/٥٣٣).

والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

قصة خطبة قس بن ساعدة الإيادي التي رواها النبي صلى الله عليه وسلم

الحلقة (٢٤٩)

إعداد **علي حشيش**

أواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص والأدباء، وإلى القارئ الكريم

التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- من أسباب ذكر هذه القصة وجودها في بعض كتب السنة الأصلية.

٢- أورده الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦١٦/٢) في ذكر جماعة مشهورين في الجاهلية منهم قس بن ساعدة الإيادي في ثاني صفحات، ثم أخرج الحافظ ابن كثير خبرًا بسنده بأحد عشر راويًا إلى الحسن البصري جاء فيه: أن قس بن ساعدة هذا عُمِّر ستمائة سنة، ونقل الحافظ ابن حجر في كتابه «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥٥٢/٥) ط. دار الجيل ببيروت- قال: «ذكر كثير من أهل العلم أن قس بن ساعدة عاش ستمائة سنة وكان خطيبًا». اهـ.

قلتُ: ونقله الحافظ ابن حجر من غير تحقيق، ونتساءل: من أهل العلم الذين قالوا: إن قس بن ساعدة عاش (٦٠٠) سنة؟

والحافظ ابن كثير رحمه الله أسند هذا الخبر كما بينا ومَن أسند فقد أحال، وبهذا تنكشف العلة لأهل الصنعة الحديثية، فالسند من طريق محمد بن إسحاق قال: حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن بن أبي الحسن البصري مرفوعًا.

قلت: وهذا الخبر الذي جاء فيه أن قس بن ساعدة عمره (٦٠٠) سنة متنه أكثر من مائة سطر، وهو خبر باطل منكر مسلسل بالعلل: الأولى: محمد بن إسحاق أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٧١٩٧/٤٦٨/٣)، وقال: «حشا في السيرة من الأشياء المنكرة المنقطعة والأشعار المكذوبة». اهـ.

قلت: وهذا حق، فهذا الخبر محشي بأكثر من ثلاثين بيتًا من الشعر، كما هو ظاهر من استقراء الخبر، والخبر أيضًا محشي بالأشياء المنكرة المنقطعة: وهذا حق فالخبر من مرسلات الحسن البصري، فقد نقل الإمام السيوطي في «تدريب الراوي» (٤٠٣/١) أن الإمام أحمد بن حنبل قال: «وليس في المرسلات أضعف من مرسلات الحسن، وعطاء بن أبي رباح، فإنهما كانا يأخذان من كل أحد». اهـ..

وعلة ثالثة: قول محمد بن إسحاق: «حدثني بعض أصحابنا من أهل العلم عن الحسن البصري». اهـ.

قلت: ولم يصرح محمد بن إسحاق عن أسماء بعض أصحابه من أهل العلم الذين حدثوه بهذا الخبر الذي تجاوز المائة سطر وما حشاه فيه من الأشياء المنكرة، وهذا النوع من المجاهيل يسمى «المبهم» قال البيقوني في «منظومته»: «ومبهمٌ ما فيه راوٍ لم يُسم»، وروايته مردودة؛ لأن من أُبهم اسمه جُهلت عينه، وجُهلت عدالته من باب أولى، فلا تُقبل روايته.

٣- وهذا منكر، وتتبين هذه النكارة لو فرضًا لدحض هذا المنكر أنّ قس بن ساعدة وُلد يوم وُلد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فيكون يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفيل عمره ٥٧١ سنة ميلادية، ويكون قد عاش بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم ٢٩ سنة، ومات وعنده (٦٠٠) سنة، بل يكون بهذا الكذب قد عاصر عيسى حتى رفعه الله إليه، ورآه النبي صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ قبل البعثة، وهذا كذب.

فكيف ينقل الحافظ ابن حجر -عفا الله عنه وعنا- في كتابه «الإصابة» (٥/٥٥٢): أن المرزباني قال: «ذكر كثير من أهل العلم أن قس بن ساعدة عاش ستمائة سنة، وكان خطيبًا حكيمًا». ولم يذكر تخريجًا ولا تحقيقًا كما ذكر التخريج الحافظ ابن كثير فاستبان التحقيق من الصناعة الحديثية، فظهر أن الخبر باطل بالكذب والجهالة والانقطاع.

٤- وسنحقق خبر قصة خطبة قس بن ساعدة الأيادي التي رواها النبي صلى الله عليه وسلم ونبين هذا الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم، والذي جعل بعض الأدباء الذين لا دراية لهم بالصناعة الحديثية يبني على هذا الخبر الباطل حكمًا، ونقول له -عفا الله عنا وعنه- «اثبت العرش ثم انقش»، فقد قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٥/٥٥٣): «وذكر الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» قسًا وقومه وقال: إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته، وعجب من حُسن كلامه، وأظهر تصويبه، وهذا شرفٌ تعجز عنه الأماني، وتنقطع دونه الآمال، وإنما وفّق الله ذلك لقس، لاحتجاجه للتوحيد، ولإظهاره الإخلاص، وإيمانه بالبعث، ومن ثَمّ كان قس خطيب العرب قاطبة». اهـ.

قلت: هذا ما نقله الحافظ ابن حجر في «الإصابة» عن الجاحظ من كتاب «البيان والتبيين» (١/٢٥٣) ط دار الهلال ببيروت- لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني الولاء أبو عثمان الشهير بالجاحظ المتوفى سنة (٢٥٥هـ)- فلقد أعطى فضائل لقس بن ساعدة الأيادي منها:

١-قوله: «إن له ولقومه فضيلة ليست لأحد من العرب».

٢- وقوله: «وهذا شرف تعجز عنه الأماني وتنقطع دونه الآمال».

٣- وقوله: «ومن ثم كان قس خطيب العرب قاطبة».

وإن تعجب فعجب أن الجاحظ بنى هذه الفضائل والشرف والأحكام على هذه القصة الواهية، قصة «خطبة قس بن ساعدة التي رواها النبي صلى الله عليه وسلم»، حيث بيّن حيثيات هذه الفضائل وأسبابها، فقال: «لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه». اهـ.

وهذا يحتم علينا تخريج وتحقيق هذه القصة.

ثانيا: المتن:

رُوي عن ابن عباس قال: قدم وفْدُ عبْد قيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيُّكم يعرفُ قُسّ بنَ ساعدةَ الإياديَّ؟ قالوا: كلُّنا يا رسول الله، قال: فما فعل؟ قالوا: هلك، قال: ما أنساهُ بعُكاظ في الشهر الحرام على جمل له أحمر، وهو يخطُبُ النّاس، وهو يقول: أيُّها النّاسُ، اجتمعوا واسمعوا وعُوا، مَن عاش مات، ومَن ماتَ فات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ، إنَّ في السّماء لخبرًا، وإنَّ في الأرض لعبرًا، مهادٌ موضوعٌ، وسقفٌ مرفوعٌ، ونُجومٌ تمورُ، وبحارٌ لا تغورُ، أقسمَ قُسٌّ قسمًا حقًّا، لئنْ كان في الأمرِ رضًا ليكُوننَّ سخطًا، إنَّ لله دينًا هو أحبُّ إليه من دينكُم الّذي أنتُم عليه، ما لي أرى النّاس يذهبون ولا يرجعون؟! أرَضُوا فأقاموا، أمْ تُركوا فناموا؟!

هذا الخبر الذي جاءت به القصة:

١- أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨/١٢) (ح١٢٥٦١) قال: حدثنا محمد بن السري بن مهران الناقد البغدادي، حدثنا محمد بن حسان السمتي، حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي، عن مجالد، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: «قدم وفد عبد قيس...» القصة.

٢- وأخرج الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١٤٤/٦) (١٦٤٤/٢٣) قال: حدثنا أحمد بن محمد المنصور، حدثنا محمد بن حسان السمتي القرشي به.

٢- وأخرجه الحافظ البيهقي في «الدلائل» (١٠٤/٢) قال: أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد قال: أخبرنا أبو أحمد ابن عدي الحافظ به.

ثالثا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة لا يصح، بل هو كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وعلته محمد بن الحجاج اللخمي:

١- قال الإمام البيهقي: «هذا الخبر يتفرد به محمد بن الحجاج اللخمي عن مجالد». اهـ.

٢- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٣٥١/٥٠٩/٣): «محمد بن الحجاج اللخمي الواسطي أبو إبراهيم روى عن مجالد وآخرين، وروى عنه محمد بن حسان السمي وآخرون، قال ابن معين: كذاب خبيث. وقال الدارقطني: كذاب». اهـ.

٣- وقال الإمام ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٣٤/٢/٣): «سألت أبي عن محمد بن الحجاج الواسطي اللخمي فقال: هو كذاب ذاهب الحديث». اهـ.

٤- وفي «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي للإمام يحيى بن معين» (٧٩٨): «سألت يحيى عن محمد بن الحجاج اللخمي الواسطي، كيف هو؟ فقال: كذاب». اهـ.

٥- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢٩٥/٢): «محمد بن الحجاج الواسطي اللخمي كان ممن يروي الموضوعات عن الأثبات لا تحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به». اهـ.

ثم أخرج قول الإمام يحيى بن معين فقال: أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي قال: سمعت يحيى بن معين، وسئل وأنا حاضر عن محمد بن الحجاج اللخمي: كيف هو؟ فقال: كذاب خبيث، أراه صاحب هريسة». اهـ.

قلت: كان يبيع الهريسة فوضع حديثا في الهريسة عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاني جبريل بهريسة فقال: كُلْ هذه لتشد ظهرك لقيام الليل». اهـ. أخرجه ابن حبان.

فائدة: وفي هذا ردٌ على مزاعم المستشرق «شاخت»، وما ادعاه- جهلاً وبهتانًا- بأن المحدثين اعتنوا بالنقد الخارجي أي من ناحية الرواة، ولم يعتنوا بالنقد الداخلي، وهو نقد المتن». اهـ.

فائدة أخرى: قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٦٤/١/١): «محمد بن حجاج اللخمي عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس في خبر قس بن ساعدة منكر الحديث. قال ابنه حماد: مات سنة إحدى وثمانين ومائة أبو إبراهيم الواسطي». اهـ. وبمقارنة قول الإمام البخاري «منكر الحديث» بأقوال أئمة الجرح والتعديل في محمد بن الحجاج اللخمي نجد تطبيقًا عمليًا لمعنى مصطلح البخاري، حيث قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٦/١): «نقل ابن القطان أن البخاري قال: كل من قلت منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ. كذلك قول الإمام البخاري: «قال ابنه حماد مات سنة ١٨١هـ. نستنتج منه دقة حكم الإمام يحيى بن معين (١٥٨-٢٣٣هـ). فقد عاصره ورآه فحكم عليه، فقال: كذاب خبيث أراه صاحب هريسة». اهـ. فالقصة واهية موضوعة.

رابعا: طرق أخرى واهية:

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٥٥٢/٥): «وقد أفرد بعض الرواة طريق حديث قس، وفيه شعره، وخطبته، وهو في (المطولات) للطبراني وغيرها وطرقها كلها ضعيفة». اهـ.

وهذه الطرق ضعفها شديد تزيد القصة وهنًا على وهن لما فيها من كذابين ووضاعين، كما في «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» (١٦٢-١٥٣/١) للسيوطي.

هذا ما وفقني الله إليه.

وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (١٠٣)

القسم الثاني

علي حشيش

٩٠٦- «التسويف شعاع الشيطان يُلقيه في قلوب المؤمنين».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة» «درر البحار في الأحاديث القصار» (ص٣٦/١) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٣)، وقال: «فر عن عبد الرحمن بن عوف».

قلت: «فر» ترمز إلى «مسند الفردوس» للديلمي.

وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين «موضوع».

فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» (ح١٢٩٢ - الغرائب الملتقطة) وعلته إسماعيل بن يحيى، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٦/١): «إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمي كنيته أبو علي، يروي عن مسعر وآخرين كان ممن يروي الموضوعات عن الثقات، وما لا أصل له عن الأثبات، لا يحل الرواية عنه ولا الاحتجاج به بحال».

وأخرج هذا الحديث الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٠٥/١) بهذا الإسناد، وقال: «وبهذا الإسناد أحاديث كلها بواطيل». اهـ. ثم أخرج عدة أحاديث لإسماعيل هذا ثم قال: «ولإسماعيل بن يحيى غير ما ذكرت وعامة ما يرويه من الحديث بواطيل عن الثقات وعن الضعفاء». لذلك قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٩٦٥/٢٥٣/١): «إسماعيل بن يحيى التيمي حدث عن مسعر وغيره بالأباطيل»، ثم قال الذهبي: «مجمع على تركه». اهـ.

فائدة: هناك علة أخرى وهو الانقطاع ونوعه «مرسل خفي»؛ حيث إن أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف لم يسمع من أبيه شيئًا، قاله الإمامان يحيى بن معين وأحمد بن حنبل، كذا في «المراسيل» رقم (٤٧٥) للحافظ ابن أبي حاتم.

٩٠٧- «الغيبة تنقضُ الوضوء والصلاة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٤٩/٢) ط دار الكتب العلمية- بيروت- من حديث ابن عمر مرفوعًا، وعلته إسماعيل بن يحيى التيمي كذاب وضاع يروي البواطيل ركن من أركان الكذب كما بينا آنفا.

٩٠٨- «إذا تزين الرجل بعمل الآخرة وهو لا يريدها ولا يطلبها لعن في السماوات والأرضين».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (ح٤٧٧٣) ط مكتبة المعارف الرياض- من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وقال: «تفرد به إسماعيل بن يحيى التيمي». اهـ. قلت: وقد بينا حاله آنفا.

٩٠٩- «إن الرزق لا تنقصه المعصية، ولا تزيده الحسنة، وترك الدعاء معصية».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الصغير» (٢٥١/١) ط دار الكتب العلمية بيروت- من حديث أبي سعيد مرفوعًا، وقال: «لم يروه عن مسعر إلا إسماعيل بن يحيى التيمي»، وعلته إسماعيل الكذاب الوضاع بل ركن من أركان الكذب كما بينا آنفًا.

٩١٠- «خفّفوا بطونكم وظهوركم لقيام الصلاة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٥/٧) عن إسماعيل بن يحيى حدثنا مسعر، عن عطية، عن ابن عمر مرفوعًا، وقال: «غريب من حديث مسعر، تفرد به إسماعيل»، وهو علته، وهو كذاب وضاع يروي البواطيل كما بينا آنفًا.

الحلقة (٧٧)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

الإجماع على: حمل صفة الكلام على حقيقتها.. دون المجاز المفضي إلى القول بأن كلام الله (نفسي)، أو حكاية كلام الله

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فبعد الإفاضة في سوق كلام أئمة السلف في إثبات صفة كلامه تعالى بالحرف والصوت، وحتى لا يفهم أن الأمر في ذلك قاصر على من ذكرنا من كلامهم، نسوق هنا طرفاً ممن ساق منهم الاجماع على إثبات كلام الله على حقيقته بألفاظ مسموعة، خلافاً لما يعتقده الأشاعرة ونظراؤهم حيال هذه الصفة، بقصرهم إياها على (الكلام النفسي) وأنه مجرد معنى قائم بذات الله ليس بلفظ ولا بحرف ولا بصوت، بدعوى أن هذه الأشياء من الحوادث المخلوقة التي يجب تنزيه الله عنها.

١ - إجماع أهل العلم على إثبات كلام الله على حقيقته اللفظية:

ونذكر هنا ممن ساق الإجماع على إثبات صفة الكلام لله على الحقيقة لا المجاز الذي يدعيه الأشاعرة: سفيان بن عيينة (ت١٩٨)، قال فيما أخرجه له البخاري في (خلق أفعال العباد): "أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة يقولون: (القرآن كلام الله غير مخلوق)"، وقد حكى عبد الرحمن بن عفان أن المريسي لما ذُكر أمامه، قام ابن عُيينة من مجلسه مغضباً وقال: (وَيْحَكُم: القرآن كلام الله، قد صحبت الناس وأدركتُهم يقولون ذلك، هذا عمرو بن دينار، وهذا ابن المنكدر، حتى ذكروا منصور، والأعمش ،ومسعر، قد تكلموا في الاعتزال والرفض والقدر وأمروا باجتناب القوم، فما نعرف القرآن إلا كلام الله، ومن قال غير هذا فعليه لعنة الله، وما أشبه هذا القول -يعني: القول بخلق القرآن- بقول النصارى، فلا تجالسوهم ولا تسمعوا كلامهم).

ويقول هارون بن موسى القزويني (ت ٢٤٨): "لم أسمع أحداً من أهل العلم بالمدينة، وأهل السنن، إلا وهم ينكرون على من قال: (القرآن مخلوق)، ويكفرونه"، قال هارون: "وأنا أقول بهذه السنة"، وقال أحمد بن أبي عوف: "وأنا أقول بمثل ما قال

هارون". قال ابن أبي عوف: "وسمعت هارون يقول: (من وقف على القرآن بالشك، ولم يقل غير مخلوق، فهو كمن قال: هو مخلوق)" كذا في (الشريعة) للآجري ص٨٠.

قال البخاري في (خلق أفعال العباد): "لم يكن بين أهل العلم في - في القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق- اختلاف إلى زمن مالك، والثوري، وحماد بن زيد، وعلماء الأمصار، ثم بعدهم ابن عيينة في أهل الحجاز، ويحيى بن سعيد، وابن مهدي في محدثي أهل البصرة، وعبد الله بن إدريس، وحفص بن غياث وأبو بكر بن عياش، ووكيع وذووهم ابن المبارك في متبعيه، ويزيد بن هارون في الواسطيين، إلى عصر من أدركنا من أهل الحرمين مكة والمدينة، والعراقيين وأهل الشام ومصر ومحدثي أهل خراسان منهم محمد بن يوسف في منتابيه، وأبو الوليد هشام بن عبد الملك في مجتبيه، وإسماعيل بن أبي أويس مع أهل المدينة، وأبو مسهر في الشاميين، ونعيم بن حماد مع المصريين، وأحمد بن حنبل مع أهل البصرة، والحميدي من قريش، ومن تبع الرسول من المكيين، وإسحاق بن إبراهيم وأبو عبيد في أهل اللغة، وهؤلاء هم المعروفون بالعلم في عصرهم بلا اختلاف منهم: أن القرآن كلام الله غير مخلوق وما سواه مخلوق، إلا من شذ أو أغفل الطريق الواضح فعُمّي عليه، فإن مردّه إلى الكتاب والسنة.. فمَن أبَى بعد العلم به، كان معانداً، قال تعالى: (وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا) (النساء: ١١٥).. كما أن المعروف عن أهل العلم أنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع"..

وكان قد نقل بنفس المصدر اتفاقهم على أن من قال: (إن القرآن مخلوق) فهو كافر زنديق خارج عن الإسلام، وان الجهمية القائلين بذلك كفار.

وممن ساق عنهم الإجماع: أبو زُرعة، وقد خرّجه غير واحد وحكاه عنه ابن أبي حاتم، قال: "سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان في ذلك؟، فقالا: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصرًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذاهبهم:.. أن القرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته)". وذكرا سائر الاعتقاد.

وممن ساقه عنهم أبو داود في سننه قال: "سمعت إسحاق بن راهويه وهناد بن السري وعبد الأعلى بن حماد وعبيد الله بن عمر وحكيم بن سيف الرقي وأيوب بن محمد وسوار والربيع بن سليمان صاحب الشافعي وعبد الوهاب بن عبد الحكم ومحمد بن الصباح ووهب بن بقية، ومن لا أحصيهم من علمائنا، كل هؤلاء سمعتهم يقولون: (القرآن كلام الله ليس بمخلوق)". كذا ذكره الآجري في (الشريعة) ص٨٧، وقال معقبا: "فيما ذكرت في هذا الباب بلاغ لمن عقل وسلم له دينه".

ثم استطرد يقول عن (الواقفة): "وأما الذين قالوا: (القرآن كلام الله) ووقفوا فيه، وقالوا: (لا نقول غير مخلوق)، فهؤلاء مثل من قال: (القرآن مخلوق) وأشرَ: لأنهم شكوا في دينهم، ونعوذ بالله ممن يُشك في أن كلام الرب غير مخلوق".. إلى أن قال رداً على (اللفظية): "احذروا هؤلاء الذين يقولون: (إن لفظه بالقرآن مخلوق)، وهذا عند أحمد ومن كان على طريقته: منكر عظيم".. يعني: لكون العبارة ملبسة وأن المتسترين وراءها من الجهمية يضمرون خلاف مراد أهل السنة، ليثبتوا أن القرآن مخلوق ويدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، بينا أهل السنة على أن أصوات العباد وتلاوتهم وقراءتهم وما قام بهم من أفعالهم: مخلوقة، وكذا تلفظهم بالقرآن، دون ألفاظ القرآن نفسها.

وجعل الآجري يسوق الأدلة على ذلك من الآي والأحاديث والآثار والمناظرات.

٢- ومن جاء بعد القرون الفاضلة يقولون بقول أسلافهم:

وفي ذكر الإجماع على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، يقول البربهاري (ت ٣٢٨) في (شرح السنة): "القرآن كلام الله وتنزيله ونوره، وليس بمخلوق، لأن القرآن من الله، وما كان من الله فليس بمخلوق)، وهكذا قال مالك وأحمد والفقهاء قبلهما وبعدهما، والمراء في ذلك كفر". كما أوجبوا "الإيمان بأن الله هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمن قال غير ذلك فقد كفر بالله العظيم".

ولابن أبي زمَنين (ت٣٩٩) قوله في (أصول السنة): "ومن قول أهل السنة: أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ واليه يعود"، ومما ذكره في تعضيد مذهب أهل السنة قوله عليه السلام فيما رواه الحاكم وصححه الذهبي في التلخيص: (إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أحب إليه من شيء خرج منه)، يعني: القرآن".. ثم ساق الإجماع على ذلك، وأتبعه بقول ابن وضاح: "ولا يسع أحداً أن يقول: (كلام الله) قط حتى يقول: (ليس بخالق ولا مخلوق. منه بدأ واليه يعود)، ومن قال بغير هذا فقد كفر بالله العظيم".

ولأبي نعيم الأصبهاني (ت٤٣٠) قوله: "طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة واجماع الأمة، ومما اعتقدوه: أن الله لم يزل كاملاً بجميع صفاته القديمة، لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم، بصيراً ببصر، سميعاً بسمع، متكلماً بكلام.. وأن القرآن كلام الله، وكذلك سائر كتبه المنزلة، كلامه غير مخلوق، وأن القرآن في جميع الجهات مقروءً ومتلواً ومحفوظاً ومسموعاً ومكتوباً وملفوظاً كلام الله حقيقة، لا حكاية ولا ترجمة، وأنه بألفاظنا كلام الله غير مخلوق، وأن (الواقفية) و(اللفظية) من (الجهمية)، وأن من قصد القرآن بوجه من الوجوه يريد به خلق كلام الله، فهو عندهم من الجهمية، وأن الجهميَّ عندهم كافر". قال الذهبي في العلو ص١٧٦ معلقاً: "قد نقل هذا الإمامُ الإجماعَ على هذا القول ولله الحمد، وكان حافظ العجم في زمانه بلا نزاع" ا.هـ.. وبنحو مما ذكره أبو نعيم، تكلم الإمام علي بن مهدي الطبري تلميذ أبي الحسن الأشعري ونقله عنه الصابوني ت ٤٤٩ في (عقيدة السلف) ص٢٣ وكان قد استحسنه، وأردف يقول: "أصحاب الحديث.. يعرفون ربهم بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسوله على ما وردت الأخبار الصحاح به ونقلت العدول الثقات عنه، ويُثبتون لله ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه.. وقد أعاذ الله أهل السنة من التحريف والتشبيه والتكييف، ومَنَّ عليهم بالتعريف والتفهيم، حتى سلكوا سبيل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعطيل والتشبيه، واتَّبعوا قول الله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) (الشورى: ١١).

كذلك يقولون في جميع الصفات التي نزل بذكرها القرآن ووردت به الأخبار الصحاح من (السمع والبصر والعين والوجه والعلم والقوة والقدرة والعزة والعظمة.. والقول والكلام).. من غير تشبيه لشيء من ذلك بصفات المربوبين المخلوقين، بل ينتهون فيها إلى ما قاله الله وقاله رسوله من غير زيادة عليه ولا إضافة إليه، ولا تكييف له ولا تشبيه، ولا تحريف ولا تبديل، ولا تغيير ولا إزالة للفظ الخبر عما تعرفه العرب وتضعه عليه بتأويلِ مُنكر يُستنكر، ويُجْرُون على الظاهر ويكلون علمه إلى الله، ويقرُّون بأن تأويله – يعني: من جهة الكيف – لا يعلمه إلا الله، كما أخبر الله عن الراسخين في العلم

أنهم (يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) (آل عمران: ٧)"، قال: "ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون أن القرآن كلام الله وكتابه ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه، هو: الذي نزل به جبريل على الرسول قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً.. وهو الذي بلغه الرسول أمته كما أمر به في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) (المائدة: ٦٧)، فكان الذي بلغهم بأمر الله، كلامه عز وجل، وفيه قال- كما في الصحيح-: (تمنعوني أن أبلغ كلام ربي؟!)، وهو الذي تحفظه الصدور وتتلوه الألسنة، ويُكتب في المصاحف كيف ما تصرف بقراءة قارئ ولفظ لافظ وحفظ حافظ، وحيث تُلي وفي أي موضع قُرئ وكُتب في مصاحف أهل الإسلام وألواح صبيانهم وغيرها، كله كلام الله غير مخلوق، ومن زعم أنه مخلوق فهو كافر بالله العظيم".

وفي (الحجة) للأصبهاني ٣٦٠/١: "إجماع الصحابة والتابعين بعدهم مثل: ابن المسيب وابن جبير والحسن والشعبي وغيرهم مما يطول ذكرهم، أشاروا إلى أن كلام الله هو المتلو في المحاريب والمصاحف"، وفيه ص٤٠٠ ما نصه: "قال أصحاب الحديث وأهل السنة: إن القرآن المكتوب الموجود في المصاحف والمحفوظ في القلوب، هو حقيقة كلام الله، بخلاف ما زعم قوم- يعني بهم: الأشاعرة- أنه عبارة عن: حقيقة الكلام القائم بذات الله ودلالة عليه، والذي هو في المصحف محدث وحروفه مخلوقة، ومذهب علماء السنة وفقهاؤهم أنه الذي تكلم الله به، وسمعه جبريل من الله وأداه إلى النبي وأداه النبي إلى الصحابة حسب ما سمعه من جبريل، ونقله السلف إلى الخلف قرناً بعد قرن، والدليل على أن القرآن موجود في المصاحف، نَهْيُ النبي أن يُسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن ينالوه، فلو كان ما في المصحف هو الزاج (الحبر) والكاغد (القرطاس) فحسب، لم ينه النبي أن يُسافر به إلى أرض العدو، لأن الزاج والكاغد لا حرمة له فيُتحرز من أن يناله العدو، فعُلم أن في المصحف شيئاً موجوداً زائداً عن الزاج والكاغد له حرمة، فنهى عن المسافرة به"، ثم ذكر الأدلة على ذلك.

ثم قال ص٢٠٣ بالجزء الثاني: "أجمع المسلمون أن القرآن كلام الله، وإذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة لله وأنه تعالى موصوف به، وهذه الصفة لازمة لذاته، تقول العرب: (زيد متكلم)، فالمتكلم صفة له، إلا أن حقيقة هذه الصفة: الكلام، وإذا كان كذلك كان القرآن كلام الله وكانت هذه الصفة لازمة له أزلية، والدليل على أن الكلام لا يفارق المتكلم: أنه لو كان يفارقه لم يكن للمتكلم إلا كلمة واحدة، فإذا تكلم بها لم يبق له كلام، فلما كان المتكلم قادراً على كلمات كثيرة بعد كلمة، دل على أن تلك الكلمات فروع لكلامه الذي هو صفة له ملازمة"، ثم جعل يسوق المزيد من الأدلة على ذلك.

وفيه ص٢٧٩ وبعد حديث مستفيض من ذكر العديد مما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله، قال رحمه الله: "قال علماء السلف: أول ما افترض الله على عباده: الإخلاص، وهو: معرفة الله والإقرار به وطاعته بما أمر ونهى.. وأنه بجميع صفاته وجميع كلامه لم يزل ولا يزال، ولا يخلو من علمه شيء، ولا مكان، وهو المتكلم السميع البصير، يراه المؤمنون في الآخرة ويسمعون كلامه وينظرون إليه.. وأنه واحد بجميع أسمائه وصفاته، والقرآن كلامه غير مخلوق"، وله ص٤٧٨ ما نصه: "ومذهب أهل السنة أن الله أظهر للسامعين من ألسنة مخلوقة وأفعال مخلوقة- وهي حركات الألسنة- كلاماً غير مخلوق، وكذلك يُظهر من حبر مخلوق وكاغد مخلوق وأقلام مخلوقة كلاماً غير مخلوق بلا كيف"..

وإلى لقاء، والحمد لله ورب العالمين.

سمع الله لمن حمده

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد جامعة غينيا العالمية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فيقال في الصلاة بعد الرفع من الركوع: "سمع الله لمن حمده"، وينبغي أن نكررها خارج الصلاة لماذا لأن (سمع الله لمن حمده)، وهي كلمات عظيمة، فيها إيماء بمعيّة الله تعالى للمُصلي، الذي يسمع تراتيل المصلين، وتسبيحات الراكعين، وحمد الحامدين.

وفيها إشعار بقبول حمدنا لله في مفتتح الصلاة وفي غيرها: «الحمد لله رب العالمين»، وفيها حث على مزيد من الحمد؛ ولهذا سنّ لنا أن نقول أيضا: "ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه".

من حديث رفاعة بنت رافع رضي الله عنها بالبخاري: كنا يَوْمًا نَصَلي وراءَ النبيِّ صَلى الله عليه وسلَم، فلمَّا رَفعَ رَأسَهُ من الرَّكعَة قال: سَمعَ الله لمن حَمدَهُ، قال رَجُل وراءَهُ: ربَنا ولكَ الحمْد حَمدًا كَثيرًا طيِّبًا مُباركًا فيه، فلمَّا انْصرَف، قال: مَن المُتكلمُ قال: أنَا، قالَ: رَأيْتُ بضْعَةً وثلاثينَ ملكًا يَبْتَدِرُونَها أيُّهُمْ يَكْتُبُها أوَّل".

وفي هذا إشعار برفعها إلى الله تعالى، وقبولها لديه، فإنَ خير ما يذكر الانسان به ربه حمده في الصلاة وخارجها لهدي النبي صلى الله عليه وسلم وتنفيذاً لأمر الله، وقول العبد (الحمد لله) خير من الدنيا وما فيها، الحمد لله على نعمة الإسلام، الحمد لله على الهداية، الحمد لله على الصلاة، الحمد لله على الطاعة، الحمد لله على التوبة الحمد لله على الصحبة، الحمد لله على صلة الرحم، الحمد لله على بر الوالدين، الحمد لله على الأسرة، على نعمة الولد الحمد لله على أخذ الولد الحمد لله على السلب وعلى العطاء، الحمد لله على الصبر، الحمد لله على الصدقة، الحمد لله الذي أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وقد حمد الله نفسه في القرآن الكريم في مواضع عديدة، فمن ذلك:

«الحمد لله رب العالمين» في سورة الحمد.

وقوله: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» (الأنعام: ١).

وقوله: «ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ

شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ‌» (النحل: ٧٥).

وقوله -في أول الكهف-: «الْحَمْدُ لِلَّه الَّذِي أَنْزَل عَلَى عَبْدِه الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا».

والآيات في هذا كثيرة جداً.

وفي أول سبأ: «ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ » (سبأ: ١).

وفي أول فاطر: « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » (فاطر: ١).

كذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالحمد، فقال: « وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا » (الإسراء: ١١١).

وقال: « قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ » (النمل: ٥٩).

وفي السورة نفسها: « وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا » (النمل: ٩٣).

وقال: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ » (العنكبوت: ٦٣).

وقال: « وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » (لقمان: ٢٥).

وقال لنوح عليه السلام: « فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ » (المؤمنون: ٢٨).

والحمد لله كلمة تعبد الله بها السابقين، ويلهمها الله لعباده في جنات النعيم:

قال إبراهيم عليه السلام: « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ » (ابراهيم: ٣٩).

وأهل الجنة في الجنة يقولون إذا دخلوها: « ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ » (الأعراف: ٤٣).

وقال: « دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ » (يونس: ١٠).

وقال: « وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » (فاطر: ٣٤).

وفي الزمر: « وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ » (الزمر: ٧٤).

ففي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون». قالوا فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

ولهذا كانت أفضل سورة في القرآن سورة الحمد. وإن العبد إذا قرأ بها وحمد ربه في صلاته يقول الله: (حمدني عبدي).

الحمد لله أفضل الدعاء:

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الدعاء الحمد لله» (رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه).

وانما كان التحميد دعاء لأن الإنسان يرجو به ما يرجو بالسؤال من رضاء الله والجنة، والحمد لله خير الكلام وأحبه إلى الله: فعند مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده».

وله عن سمرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت».

وذلك لأن الحمد ثناء، ويكون الثناء على أكمل وجه إذا اقترن بالتنزيه.

وفي الصحيحين عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «كلمَتَان خَفيفَتَان عَلى اللِّسَان، ثَقيلَتَان في المِيزَان، حَبيبَتَان إلى الرَّحْمَن: سُبْحَان اللَّه العَظيم، سُبْحَان اللَّه وَبحَمْده».

التحميد سبب لمغفرة الذنوب:

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى

السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك. فيقول: هل رأوني؟... أشهدكم أني قد غفرت لهم».

الحمد سبب لدخول الجنة:

وعند الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقيتُ إبْراهيم ليْلَة أسْري بي فقال: يا مُحَمَّدُ أقْرئْ أمَّتكَ منّي السَّلامَ، وأخْبرْهُمْ أنَّ الجَنَّةَ طيِّبَةُ التُّرْبَةِ عذْبَةُ الماءِ، وأنَّها قيعانٌ، وأنَّ غراسَها: سُبْحانَ الله، والحَمْدُ لله، ولا إلهَ إلا الله، والله أكْبَرُ».

الحمد عند النوم:

ويسن التحميد (الحمد لله): لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين لعلي وفاطمة بنته رضي الله عنهما: «إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، فهو خير لكما من خادم».

وعند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا، فكم ممن لا كافي له ولا مؤوي».

عند الانتباه ليلا:

ففي البخاري: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا استجيب، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته».

إذا رأى في منامه خيراً:

قال صلى الله عليه وسلم: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها».

في الصباح والمساء:

لقول النبي صلى الله عليه وسلم في سنن أبي داود: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته».

لقول ابن مسعود رضي الله عنه: علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة الحاجة في النكاح وغيره (أبو داود والنسائي).

ونصها: إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

عند ركوب الدابة:

لحديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أبي داود: أن النبي صلى الله عليه وسلم ركب دابة، فلما وضع رجله في الركاب قال: «بسم الله» -ثلاثاً-، فلما استوى على ظهرها قال: «الحمد لله، سُبحانَ الَّذي سخَّرَ لنا هذا وما كُنَّا له مُقرِنينَ وإنَّا إلى ربِّنا لمُنقلِبونَ، الحمد لله -ثلاثاً-، الله أكبر -ثلاثاً-، سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

دبر الصلاة:

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمد الله ويسبحه ويكبره ثلاثاً وثلاثين بعد كل صلاة مكتوبة.

قبل الدعاء:

فمن حديث فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه عند النسائي أنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يصلي، فمجد الله وحمده وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله: «ادعُ تجب، وسل تُعطَ».

عند حلول النعم:

لحديث أنس عند ابن ماجه: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ».

بعد الأكل والشرب:

ومن حديث معاذ بن أنس عند أبي داود قال صلى الله عليه وسلم: «من أكل طعاماً فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه».

ومن حديث أنس بن مالك في صحيح مسلم: «إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

والمواضع كثيرة بالسُّنة المشرفة ولا يتسع المقال لذكرها..

(سمع الله لمن حمده) أسمع الله حمدك على كل حال. ولا تنس الانتظام في أذكارك السابقة. فهي باب للجنة هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

الحلقة الثالثة

ذم البخل والشح

إعداد/ المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله وبعد.

فما يزال حديثنا متصلاً عن ذم البخل والشح، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم من البخل:

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنه بينما هو يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حُنينٍ علقه الأعرابُ يسألونه فاضطروه إلى سَمُرة حتّى خَطف رداؤه وهو على راحلته فوقف فقال: «ردُّوا عليَّ ردائي أتخشَوْن عليَّ البخل فلو كان عددُ هذه العضاه نعمًا لقسَمْتُه بينكم ثمَّ لا تجدوني بخيلاً ولا جبانًا ولا كذابًا» "«رواه ابن حبان، وصححه الألباني».

الأخذ من مال البخيل بغير إذنه:

وإذا بخل الرجل عن الإنفاق على من يجب عليه الإنفاق عليهم جاز لهم أن يأخذوا من ماله ما يكفيهم بغير إذنه. فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "قالَتْ هندٌ أمُّ مُعاويةَ لرسول الله صلى الله عليه وسلمَ: إنَّ أبا سُفيانَ رَجُلٌ شَحيحٌ، فهل عَليَّ جُناحٌ أنْ آخذَ من مَاله سرًّا؟ قال: خُذي أنْت وبَنوك ما يَكْفيك بالمعروف" «رواه البخاري».

وفى روايـة: "دَخَلَتْ هنْدٌ بنْتُ عُتْبَةَ امْـرَأةُ أبي سُفيَانَ على رَسول الله صَلى الله عليه وسلم، فقالَتْ: يا رسول الله، إنَّ أبا سُفيان رَجُل شَحيحٌ، لا يُعطيني من النَّفقَة ما يكْفيني ويكْفي بَنيَّ إلا ما أخَذْتُ من مَاله بغير علمه، فهل عليَّ في ذلك من جُناح؟ فقال رسول الله صَلى الله عليه وسلم: خُذي منْ مَاله بالمعروف ما يكْفيك ويكْفي بَنيك" «رواها مسلم».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "جَاءَتْ هنْدٌ إلى النبيِّ صَلى الله عليه وسلمَ، فقالَتْ: يا رَسول الله، وَالله ما كانَ على ظَهْر الأرْض أهْلُ خباء أحَبَّ إليَّ من أنْ يُذلَّهُمُ الله من أهْل خبائك، وما على ظَهْر الأرْض أهْلُ خباء أحَبَّ إليَّ من أنْ يُعزَّهُمُ الله من أهْل خبائك، فَقال النبيُّ صَلى الله عليه وسلمَ: وَأيْضًا، وَالّذي نَفْسي بيَده، ثُمَّ قالَتْ: يا رَسول الله، إنَّ أبَا سُفيَانَ رَجُل مُمْسك، فهلْ عَليَّ حَرَجٌ أنْ أُنفقَ على عيَاله من مَاله بغير إذْنه؟ فقالَ النبيُّ صَلى الله عليه وسلمَ: لا حَرَجَ عليْك أنْ تُنْفقي عليهم بالمعروف". (رواه مسلم).

قـال الشوكاني رحمه الله في "نيل الأوطار":

"والحديث فيه دليل على وجوب نفقة الزوجة على زوجها، وهو مجمع عليه كما سلف، وعلى وجوب نفقة الولد على الأب.

وأنه يجوز لمن وجبت له النفقة شرعا على شخص أن يأخذ من ماله ما يكفيه، إذا لم يقع منه الامتثال، وأصر على التمرد" اهـ.

فيجوز للمرأة أن تأخذ من مال زوجها ما يكفي لحاجتها، وحاجة أولادها من النفقة الواجبة، من المأكل، والمشرب، والملبس؛ ونفقات العلاج، ومصروفات الدراسة، وغيرها من النفقة الواجبة على الزوج.

وأما الأثاث، فإن كان المراد منه الأسرّة وفرش النوم، وما تجلس عليه الزوجة وأولادها في النهار، فهذا مما يجب للزوجة على زوجها، فإذا لم يأت به جاز أن تأخذ من ماله بغير علمه لتشتري ما يصلح لها بالمعروف.

قال ابن قدامة رحمه الله في "المغنى" : "وعليه لها ما تحتاج إليه للنوم، من الفراش واللحاف والوسادة، كل على حسب عادته؛ فإن كانت ممن عادته النوم في الأكسية والبساط، فعليه لها لنومها ما جرت عادتهم به، ولجلوسها بالنهار البساط، والحصير الرفيع أو الخشن، الموسر على حسب يساره، والمعسر على قدر إعساره، على حسب العوائد" . انتهى من المغني.

وهكذا كل ما يحتاج إليه من أساسيات المعيشة، كالثلاجة، أو الغاز، أو نحو ذلك.

والأصل عدم جواز أخذ شيء من مال الزوج بلا علمه، وإنما استثنيت النفقة الواجبة للحديث السابق، فينبغي الحذر من التوسع في استعمال هذا الحق، فبعض النسوة يزين لها الشيطان أن تأخذ من مال زوجها ما لا يحل لها أن تأخذه من النفقة غير الواجبة على الزوج، من الكماليات، والتحسينيات، وغيرها من أمور الرفاهية.

شبهة:

قالوا: "هذه الرواية تصف الصحابي أبا سفيان بالبخل، ونحن نعتبر البخل مسبة؛ لأن السبّ هو الوصف الذي يوجب انتقاصاً من الشأن، ولا ريب أن البخل رذيلة من أسوأ المعايب والنقائص، ولذلك قال ابن عبد البر في كتاب الاستذكار «٥٧٦/٨، دار الكتب العلمية- بيروت»: «ليس البخل ولا الجبن من صفات الأنبياء ولا الجلة من الفضلاء»، وهذا يعني أن وصف أبي سفيان بالبخل يساوق نفي كونه من أهل فضيلة، وضمه إلى أهل الرذيلة.

إلا أن الجهة التي لا ريب أنها من الانتقاص المذموم شرعاً، ومن المعاصي، هي أن أبا سفيان لم يكن يمتثل لما أوجبته الشريعة عليه من النفقة الواجبة على عياله، حتى كانت زوجته هند تضطر إلى أن تأخذ بحقها وحق ولدها بصورة مختلسة! وهذا لا ريب أنه مناف للعدالة التي يزعمها أهل السنة لجميع الصحابة، فكيف استساغوا- بالرغم من ذلك- أن يسقطوها عن الصحابي أبي سفيان تحت ذريعة البخل؟

فتلخص أن أهل السنة يصفون- في ضوء هذه الرواية الصحيحة المعروفة في كتبهم - أبا سفيان في مجالين: كونه بخيلاً، فيخرج من أهل الفضائل، وينضم إلى أهل الرذائل، وكونه لا يمتثل لحكم الله في النفقة الواجبة عليه على أهله وعياله، فيخرج بذلك من أهل الاستقامة والتقوى، وتسقط عدالته.

الرد عليها:

قال أبو عبد العزيز سعود اليامي في رده على هذه الشبهة، في الدفاع عن الصحابة: "

أولا: قولك بأن البخل مسبة فكذا الجهل في مسألة صغيرة كالجهل في حكم المذي على طريقة تفكيرك مسبة أيضا وهذه ثبتت في علي رضي الله عنه ولكنكم تفكرون بطريقة غير سليمة في الحكم على الأمور، وكذلك الشجار مع العم ورفع الصوت عليه واللجوء إلى الحاكم لفض النزاع بطريقة تفكيرك لا يفعله الفضلاء وهذا قد صدر من علي مع عمه العباس رضي الله عنهم أجمعين، ولو أردنا أن نحصر مثل هذه الأمور لطال المقام، ولقلنا بمثل مقولتك هذه الأمور لا يفعلها إلا أهل الرذيلة والعياذ بالله، ولكننا نقول إنهم بشر غير معصومين تقع منهم الزلة والهفوة، وهم بشر ويقع عليهم ما يقع للبشر.

ثانيا: يجب أن نحرص على سلامة قلوبنا وألسنتنا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تكون قلوبنا مملوءة حبًا وتقديرًا وتعظيمًا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" .

ثالثا: قولك بأنه لم يمتثل لحكم الله في النفقة

الواجبة عليه على أهله وعياله، وهذا ظن وتخرص، وليس بمسلم فيه، وانما في الحديث أن أبا سفيان يعطيها ولكن هي تظن أن ذلك لا يكفيها ومثلكم يعرف بأن هذه مسألة نسبية، ولذلك جاءت الفتوى من النبي صلى الله عليه وسلم حازمة. خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف، والجواب على قدر السؤال. وهنا قضية النفقة وكونها تكفي أو لا تكفي هي مسألة تقديرية وتختلف من شخص لآخر.

رابعًا: على افتراض أن أبا سفيان بالفعل رجل بخيل، فهل هذا يخرجه من العدالة، فهذا القول لم يقل به أحد من أهل السنة والجماعة، ولا يقره حتى العقل السليم، فالرجل يكفيه أن الله شهد له واختاره لصحبة نبيه، بل ومنحه النبي شرفًا وسوددًا فقال: ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

خامسًا: فالمرء لا يعاب بزلة يسيرة أو خصلة قد تكون سيئة من باقي خصاله الجيدة، لاسيما وإن كانت له حسنات ومناقب ولو لم يزكه أحد، فكيف إذا زكاه خالقه العليم بذات الصدور.

" ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم"

سادسًا: هل نصدق الزميل بأن أبا سفيان ليس عدلا أم نصدق الخالق جل في علاه الذي عدله وباقي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ من أجل ذلك لا يجوز أن يدفع النقل المتواتر في محاسن الصحابة وفضائلهم بالمتشابه من الأحاديث، فإن اليقين لا يزول بالشك، ونحن تيقنا ما ثبت في فضائلهم، فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها، فكيف إذا علم بطلانها. «منهاج السنة ٣٠٥/٦».

يقول الذهبي رحمه الله: "فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم، وجهاد محاءٍ، وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة ". «سير أعلام النبلاء ٩٣/١٠، في ترجمة الشافعي».

علاج البخل

عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن يُنفقه، أو جبُن عن العدوّ أن يقاتله، فليُكثر من «سبحان الله وبحمده»؛ فإنها أحبُ إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل." «أورده المنذري، في الترغيب والترهيب، وقال الألباني: صحيح لغيره».

عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من عجز منكم عن الليل أن يكابده، وبخل بالمال أن ينفقه، وجبُن عن العدوّ أن يجاهده؛ فليُكثر ذكر الله." «أورده المنذري في الترغيب والترهيب، وقال الألباني: صحيح لغيره».

- ومن العلاج دفع البخل بالتصدق على النفس:

عن أبى قتادة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أيُّها النّاس ابتاعوا أنفسكم من الله من مال الله، فإن بخل أحدُكم أن يُعطي ماله للنّاس فليبدأ بنفسه وليتصدّق على نفسه فليأكُل وليكتَس ممّا رزقه الله عزّ وجلّ" «أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وصححه الألباني».

ومن العلاج التعوذ بالله من البخل:

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهُمّ إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والهرم، والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر . ومن فتنة المحيا والممات. وفي رواية: عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، بمثله غير أنّ يزيد ليس في حديثه قوله: ومن فتنة المحيا والممات. وفي رواية: أنّه تعوّذ من أشياء ذكرها والبُخل ." «رواه مسلم». عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال: "كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُعلمُنا هؤلاء الكلمات، كما تُعلَمُ الكتابة: اللهُمّ إني أعوذ بك من البُخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نُردّ إلى أرذل العُمُر، وأعوذ بك من فتنة الدُّنيا، وعذاب القبر" «رواه البخاري».

قال ابن القيم -رحمه الله- في مفتاح دار السعادة" تعليقًا على هذا الحديث: "... ثم ذكر الجبن والبخل فإنّ الإحسان المتوقع من العبد إما بماله؛ واما ببدنه؛ فالبخيل مانع لنفع ماله، والجبان مانع لنفع بدنه..." اهـ.

وقال-أيضا- في "الجواب الكافي": "والجبن والبخل قرينان: فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل" اهـ.

خصلتان لا يجتمعان في مؤمن:

عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البُخل، وسوءُ الخُلق" «رواه الترمذي، وقال الألباني: صحيح لغيره».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

محبَّة الله تعالى وتوحيده.. شرف ونجاة

إعداد
الشيخ د. بندر بليلة
خطيب المسجد الحرام

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يُضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارًا وتوحيدًا، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، سيد الخلائق إحسانًا وتجريدًا، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعدُ: فاتقوا الله-عباد الله- وأخلصوا له الدينَ، فلا خلاصَ إلا لأهل الإخلاص، ومَنْ لم يُخلصْ ذهَب عمله هباءً، وضاع سعيُه جُفاءً، فأخلصْ عبدَ الله تُخلصْ.

أيها المسلمون: ليس للآدميِّ شرفٌ يعدل معرفة الله-تبارك وتعالى- ومحبته وتوحيده، فهو بغير إلهه وربه لم يكن شيئًا مذكورًا، وبفضله وانعامه خلقه من العدم، وعلَّمه بالقلم، (عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) (العَلق: ٥)، فلما أوجَده-سبحانه- وعلمه وفهَّمه، وخلق كل شيء له، ونصَب له دلائل معرفته وشواهد وحدانيته أمَرَه أن يُخلص له التوحيدَ، ويُفرده بالعبادة، وينقاد له بالذل والطاعة، (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، فكان أول واجب افترضه عليه-جل وعلا- أن يكون هو-سبحانه- معبوده وإلهه، كما كان هو ربه وخالقه وبارئه ومُصوِّره: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البَقَرة: ٢١-٢٢).

وقد كان من شأن البشرية مع هذا المطلب العظيم، بعد أن جبَلهم ربُّهم عليه وأمَرَهم به، وأنزل أباهم آدم إلى الأرض على صريح التوحيد، أن ظلَّت تَردُ من هذا الشرب الرويِّ، وتنهل من ذلك المنَهل العذب الهنيِّ، قرونًا متطاولة، لا تعرف غيرَ ربها إلهًا، ولا تذل أعناقها خاضعةً إلا لسيدها ومولاها، حتى اجتالتهم الشياطينُ وزيَّنت لهم الشركَ واتخاذ الأنداد مع الله، كما قال صلى الله عليه وسلم عن ربه: "إني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلهم، وإنهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتْهم عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرَتْهم أن يُشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا" (أخرجه مسلم).

فكان الخلق مجتمعين على صفاء هذا التوحيد، حتى انحرفت فطرهم، فبعث الله الرسل إليهم، ليعودوا بفطرهم سيرتها الأولى، فيُخلصوا لله الدين، ويجرِّدوا له التوحيد، ويتبرؤوا من كل ما يُعبَد من دونه،

قال عز وجل: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) (البقرة: ٢١٣)، فدارت رحى الشرائع من بعد على هذا التوحيد، الذي هو لباب الرسالات السماوية، وخلاصة الملة الحنيفية، وغاية بعثة الرسل، وانزال الكتب؛ (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل: ٣٦)، فهذا نداء نوح-عليه السلام-: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (الأعراف: ٥٩)، ومن بعده هود وصالح وشعيب؛ (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (الأعراف: ٦٥)، (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف: ٧٣)، (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف: ٨٥)، فهذا نداء التوحيد، هو أول دعوة الرسل وآخرها من أولهم إلى آخرهم.

أيها المسلمون: وأما إبراهيم-عليه السلام- عليه أزكى التسليم، فله في الحنيفية أرسخ قدم؛ فهو إمام الحنفاء، ومقدم الموحدين الأخشياء، وقد أبطل الله الانتساب إلى غير ملته فقال عز وجل: (وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (البقرة: ١٣٥)، وزكى متبع ملته والسائر على طريقته، فقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) (النساء: ١٢٥)، ولا ملة له-عليه السلام- إلا ملة الإسلام والتوحيد، (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران: ٦٧)، ولما كان الخلق متفاوتين في تحقيق التوحيد؛ علمًا وعملًا وحالًا، كان أكملهم توحيدًا الأنبياء والمرسلين، وكان أكمل الأنبياء أولي العزم من الرسل، وكان أكمل أولي العزم الخليلان إبراهيم ومحمد-عليهما الصلاة والسلام-؛ فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما؛ علمًا وعملًا وحالًا، ودعوة للخلق وجهادًا؛ ولهذا أمر الله نبيه محمدًا-صلى الله عليه وسلم- أن يتبع ملة إبراهيم-عليه السلام-: ([illegible] أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل: ١٢٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يُعلم أصحابه إذا أصبحوا أن يقولوا: "أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين"، فملة إبراهيم التوحيد، ودين محمد ما جاء به من عند الله قولًا وعملًا واعتقادًا، وكلمة الإخلاص شهادة ألا إله إلا الله، وفطرة الإسلام ما فطر الله عليه عباده من محبته وعبادته وحده لا شريك له، والاستسلام له عبودية وذلًا، وانقيادًا وانابة.

عباد الله: والقرآن العظيم مملوء من ذكر التوحيد والدعوة إليه، وهما توحيدان؛ توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد القصد والطلب، فأما الأول: فهو إثبات تفرد الرب-تبارك وتعالى- بنعوت الجلال والكمال في الذات والأسماء والصفات والأفعال، وأما الثاني: فهو تجريده-تبارك وتعالى- بخالص العبادة التي هي غاية الذل، مع غاية الحب في سائر الأحوال. قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-: "غالبُ سُور القرآن، بل كل سُور القرآن، بل كل سورة في القرآن، هي متضمِّنة لنوعي التوحيد، بل إن كل آية في القرآن هي متضمِّنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه؛ وذلك أن القرآن إمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهذا هو التوحيدُ العلميُّ الخبريّ، وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعبَد من دونه، فهو التوحيد الإراديّ الطلبيُّ، وإمَّا إلزامٌ بطاعته وأمره ونهيه؛ فهذه هي حقوق التوحيد ومُكمِّلاته، وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يُكرِمُهم به في الآخرة، فهذا هو جزاء التوحيد، وإما خبرٌ عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهذا هو جزاء مَنْ خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي الشرك وأهله وجزائهم، فـ([illegible]) (الفاتحة: ٢) توحيد، ([illegible]) (الفاتحة: ٢) توحيد، ([illegible]

ٱلرَّحِيمِ) (الفاتحة: ٣) توحيد، (مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) (الفاتحة: ٤) توحيد، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) (الفاتحة: ٥) توحيد، (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة: ٥) توحيد، (ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ) (الفاتحة: ٦) توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريقة أهل التوحيد، (صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ) (الفاتحة: ٧) الذين فارقوا التوحيد".

وقد شهد الله-عز وجل- لنفسه بهذا التوحيد، وشهدت له به ملائكته وأنبياؤه ورسله، قال تعالى: (شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ) (آل عمران: ١٨)، فكانت هذه الشهادة أجل شهادة وأعظمها وأعدلها وأصدقها، من أجل شاهد بأجل مشهود به؛ وذلك لأنها شهادة جامعة للتوحيد والعدل، فهو-سبحانه- قائم بالعدل في توحيده، وقائم بالوحدانية في عدله، وبالعدل والتوحيد يلتئم الكمال؛ فإن التوحيد يتضمن تفرده-تعالى- بالكمال والجلال، والمجد والتعظيم، الذي لا ينبغي لأحد سواه، وإن العدل يتضمن وقوع أفعاله-تبارك وتعالى- على السداد والصواب وموافقة الحكمة، فهذه الشهادة أعظم شهادة على الإطلاق، وإنكارها وجحودها أظلم الظلم على الإطلاق، فلا أعدل من التوحيد ولا أظلم من الشرك، وما أجل قول المولى-جل وعلا- إذ يقول آمرًا نبيه-صلى الله عليه وسلم-: (قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ) (الأنعام: ١٦١-١٦٣).

أيها المسلمون: إن حقيقة التوحيد إخلاص الدين لله، قال الله: (وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ) (البينة: ٥)، وهو لا يقوم إلا على الجمع بين طرفي الإثبات والنفي؛ فأما الإثبات فهو أن تقر لله-تعالى- بإلهيته، والنفي أن تنفي إلهيته عما سواه، وبذلك تعبده تاركا عبادة غيره، وتحبه معرضا عن محبة غيره، وتخشاه مترفعا عن خشية من سواه، وكذلك لا تستعين إلا به، ولا تتوكل إلا عليه، ولا تتحاكم إلا إليه، ولا تدعو إلا إياه، ولا ترغب فيما سواه، وكمال هذا التوحيد ألا يبقى في القلب شيءٌ لغير الله أصلاً، بل يبقى العبد مواليًا لربه في كل شيء، يحب ما أحب، ويبغض ما أبغض ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويأمر بأمره، وينهى عن نهيه، فهذا هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، ذروة سنامه وقطب رحاه.

وبعد يا أهل الإيمان، فهذا هو حق الله على عباده الذي ينجي من عذابه، كما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل-رضي الله عنه-: "يا مُعاذُ، هل تَدري ما حقُّ اللهِ على عِبادِه؟ وما حقُّ العِبادِ على اللهِ؟" قلتُ: اللهُ ورَسولُه أعلَمُ. قال: "فإنَّ حقَّ اللهِ على العِبادِ أنْ يَعبُدوه، ولا يُشرِكوا به شيئًا، وحقَّ العِبادِ على اللهِ أنْ لا يُعذِّبَ مَن لا يُشرِكُ به شيئًا"(متفق عليه).

هذا وصلوا وسلموا على خيرته من خلقه، المصطفى لوحيه، المنتخب لرسالته، المرفوع ذكره مع ذكره في الأولى، والشافع المشفع في الأخرى: (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صل وسلم على أكرم رسلك وخاتم أنبيائك، وارض عن خلفائه الأربعة الراشدين: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سائر الصحب والآل، ومن تبعهم إلى يوم المآل، وعنا معهم برحمتك يا أكرم الأكرمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا وسائر بلاد المسلمين، اللهم ما سألناك من خير فأعطنا، وما قصرت عنه آمالنا وأعمالنا من خيري الدنيا والآخرة فبلغنا، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم بفضلك عمنا، وبلطفك حفنا، وعلى الإسلام والسنة والتوحيد جمعا توفنا، توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين، ولا مبدلين ولا مغيرين، يا رب العالمين.

مقالات في معاني القراءات

الحلقة العاشرة

إعداد **د. أسامة صابر**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فمع بعض معاني القراءات الواردة في بعض سور القرآن الكريم، نقول وبالله تعالى التوفيق:

من سورة النمل

قوله تعالى: (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) (النمل: ٢٤).

القراءات: (أَلَّا يَسْجُدُوا) قرأ الكسائي وأبو جعفر ورويس بتخفيف اللام، والباقون بتشديد اللام.

المعنى: على قراءة التشديد: على تقدير وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا، أو فهم لا يهتدون أن يسجدوا، أو فصدهم عن السبيل لئلا يسجدوا.

وعلى قراءة التخفيف أنه استفتاح للكلام، والتقدير ألا يا هؤلاء اسجدوا (ولمزيد من التفصيل لمعرفة أحكام الوقف والابتداء والتوجيه اللغوي يراجع الوافي في شرح الشاطبية ص٢٧٣-٢٧٤، والبدور الزاهرة ٢/٦٥٢ للشيخ عبد الفتاح القاضي، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٢٦١).

قوله تعالى: (وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ) (النمل: ٦٣).

القراءات: قرأ ابن كثير ،وحمزة، والكسائي، وخلف بالإفراد (الريح) والباقون بالجمع (الرياح).

(بُشْرًا): بالباء مضمومة مع إسكان الشين قراءة عاصم، والمعنى أن الرياح تبشر بالمطر.

(نُشُرا) بنون مضمومة مع ضم الشين قراءة نافع، وأبي جعفر، وابن كثير، وأبي عمرو، ويعقوب.

(نُشْرا) بنون مضمومة مع إسكان الشين قراءة ابن عامر.

(نَشْرًا) بنون مفتوحة مع إسكان الشين قراءة حمزة، والكسائي، وخلف.

والمعنى أن الله أنشر الريح أي بعثها وأرسلها، أو أن الريح تنشر الأرض أي تحييها بالمطر بأمر الله (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص ٨٦، والكشف ٢/٤٦).

قوله تعالى: (بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ) (النمل: ٦٦).

القراءات: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وأبو جعفر:

(بل أدْرك) على معنى (بلغ ولحق) فهو إنكار أن يبلغ علمهم أمر الآخرة ولا وقت حدوثها، وفيه معنى التوبيخ لهم.

وقرأ الباقون (بَل ادّارَكَ) وأصله (تدارك علمهم)، والمعنى بل تلاحق علمهم بالآخرة فلم ينفرد أحد منهم بزيادة علم، فهُمْ في الجهل سواء (الكشف ٢/٢٦٨).

قوله تعالى: (وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) (النمل:٧٠).

القراءات: قرأ ابن كثير بكسر الضاد وفتحها غيره.

المعنى: قال أبو عمرو: الضَّيْق بالفتح: الغم، والضِّيق بالكسر: الشدة (حجة القراءات لابن زنجلة ص ٢٦٦).

من سورة القصص

قوله تعالى: (قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا) (القصص:٤٨).

القراءات: قرأ الكوفيون بكسر السين وإسكان الحاء (سِحْران)، وقرأ غيرهم بفتح السين وألف بعدها مع كسر الحاء (سَاحِران).

المعنى: قالوا ساحران (أرادا موسى وهارون، أو موسى ومحمدا) عليهم الصلاة والسلام. تظاهرا: أي تعاونا وصدق أحدهما الآخر، وعلى قراءة (سحران): فالمراد أنهما كتابان (التوراة والإنجيل، أو التوراة والفرقان)، ويدل عليه قوله تعالى: (قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا) (القصص:٤٩) (الحجة للقراء السبعة ٥/٤٢٣).

من سورة الروم

قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ) (الروم: ٢٢).

القراءات: قرأ حفص (للعالمين) بكسر اللام وغيره بفتحها.

المعنى: على قراءة الكسر أنه خص بالآيات العلماء؛ لأنهم أهل النظر والاستنباط والاعتبار، كما قال تعالى (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ) (العنكبوت:٤٣). والمعنى على قراءة الفتح أنه جمع عالَم فهو أعم في جميع الخلق؛ إذ الآيات والدلالات على توحيد الله يشهدها العالم والجاهل، فهي آية للجميع. (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٢٨٧).

قوله تعالى: (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) (الروم:٣٢).

القراءات: (فرقوا) قرأ حمزة والكسائي بالألف بعد الفاء مع تخفيف الراء (فَارَقُوا) من المفارقة والفراق، أي تركوا دينهم وفارقوه، وغيرهما بحذف الألف وتشديد الراء (فَرَّقوا) من التفريق على معنى أنهم آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كما قال الله عنهم: (وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ) (النساء:١٥٠). (الكشف: ٢/٣٨).

سورة الأحزاب

قوله تعالى: (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا) (الأحزاب:٢)، وقوله تعالى: (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (الأحزاب:٩)

القراءات: (بما تعملون خبيرًا)، (بما تعملون بصيرا) قرأ أبو عمرو بياء الغيبة فيهما، والباقون بتاء الخطاب.

المعنى: على قراءة أبي عمرو أن الله تعالى خبير بعمل الكافرين والمنافقين، وسيحاسبهم على ما يبيّتون من الكيد، وقد نهى رسوله صلى الله عليه وسلم عن طاعتهم فقال: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) (الأحزاب:١)، وفي الموضع الثاني أخبر أنه بصير بعمل جنود الأحزاب الذين جاءوا لقتال المسلمين، وعلى قراءة الخطاب فالمراد بالمخاطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن على سبيله من المسلمين فإنه تعالى خبير وبصير بأعمالهم (حجة القراءات لابن زنجلة: ص ٢٨٧).

قوله تعالى: (يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ) (الأحزاب: ٢٠).

القراءات: قرأ رويس بتشديد السين مفتوحة وألف بعدها (يسّاءلون) أي يتساءلون، فأدغمت التاء في السين وشددت، والمعنى يسأل بعضهم بعضا عن أخبار جيش المسلمين: ماذا سمعت؟

وماذا بلغك؟، وقرأ الباقون (يسألون) بإسكان السين أي يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء المسلمين لقصد التجسس عليهم وتمني هزيمتهم (معاني القراءات للأزهري: ص ٤٠٢، التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٠٢/٢١)

قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (الأحزاب:٣٣).

القراءات: (وقَرن) قرأ نافع ،وأبو جعفر، وعاصم بفتح القاف، من: قررت بالمكان، والمعنى: اقررن في بيوتكن وهو أمر بملازمة البيوت، وقرأ الباقون بكسر القاف وهو على وجهين: من القرار كالمعنى الأول، أو من الوقار، أي: كُنَّ أهل سكينة ووقار، وفيه إشارة إلى علة ملازمة البيوت بأنه وقار لهن (تفسير الطبري، وتفسير ابن عاشور- سورة الأحزاب: ٣٣).

قوله تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا) (الأحزاب: ٦٧).

القراءات: قرأ ابن عامر ويعقوب بألف بعد الدال مع كسر التاء (ساداتنا)، وهو جمع الجمع: لأن (سادة) جمع (سيد)، و(سادات) جمع الجمع على إرادة التكثير لكثرة من أضلهم وأغواهم من رؤسائهم، وقرأ غيرهما بحذف الألف ونصب التاء (سادتنا) (الكشف لمكي بن أبي طالب ٣٠٣/٢).

قوله تعالى: (وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) (الأحزاب: ٦٨).

القراءات: قرأ عاصم (كبيرًا) بالباء الموحدة، ودل على كبر وعظم اللعن وقرأ غيره (كثيرا) بالثاء المثلثة، من الكثرة على أنهم يُلعنون مرة بعد مرة، فدل على تعدد اللعنات، كما قال-تعالى- (يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (البقرة:١٥٩)، ومعنى الكبير والكثير متقارب (الكشف: ٣٠٤/٢).

ومن سورة سبأ

قوله تعالى: (عَالِمِ الْغَيْبِ) (سبأ: ٣).

القراءات: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر ورويس (عالمُ) بالرفع على المدح، أي هو عالم، فهو خبر ابتداء محذوف، ويجوز أن يكون (عالم) مبتدأ وخبره: (لا يعزب عنه)، وقرأ حمزة والكسائي (علام الغيب) للمبالغة، والباقون: (عالم الغيب) صفة لله، والمعنى: الحمد لله عالم الغيب، أو صفة للرب في قوله: (قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) (حجة القراءات لابن زنجلة: ص ٢٩٤)

قوله تعالى: (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ) (سبأ: ١٢).

القراءات: قرأ شعبة (الريحُ) برفع الحاء وغيره بنصبها، وقرأ أبو جعفر بالجمع، وغيره بالإفراد.

المعنى: على قراءة الجمهور (ولسليمان الريحَ) أي سخرنا له الريح، وعلى قراءة شعبة (ولسليمان الريحُ) بالرفع على أنه مبتدأ مؤخر: فالمعنى أن تسخير الريح استقر لسليمان حتى صارت كأنها في قبضته وفي ملكه.

قوله تعالى: (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) (سبأ: ١٩).

القراءات: قرأ يعقوب (ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا) على وجه الخبر أن الله فعل بهم ذلك، وهي شكوى منهم: لأنهم اعتادوا الترفه.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو ، وهشام (ربَّنا بعِّد بين أسفارنا)، وقرأ الباقون (ربَّنا باعد بين اسفارنا) على وجه الدعاء والمسألة أي أحبوا الأسفار الطويلة التي يقطعون فيها المفاوز، ويحتاجون إلى الزاد والرواحل وبطروا نعم الله عليهم، وجهلوا مقدار العافية (تفسير ابن كثير وتفسير الطبري- سورة سبأ: ١٩).

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ) (سبأ: ٣٨).

القراءات: قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (مُعجِّزين) أي: مثبطين مبطئين، والمعنى أنهم يصدون عن سبيل الله ويبطئون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقرأ الباقون: (مُعاجزين)، أي معاندين، او مسابقين لإبطال آياتنا ويحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا، كما قالوا: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه (تفسير الطبري – سورة سبأ: ٥، الحجة لابن زنجلة: ص ٢٩٤).

والحمد لله رب العالمين.

مفاجأة

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٨ مجلدا
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة ، عابدين ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - ٢٣٩١٥٤٥٦

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ من المشترين

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيها بدلا من ٤٠ جنيها

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

موقع
التوحيد
قريبا
موقع
التوحيد
قريبا